مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: الجذور العربية المشتركة بين المشرق والمغرب في العصر الكنعاني نماذج ونقوش ودلالات تاريخية وحضارية
اسم الكاتب: د. إبراهيم خلايلي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2672
تاريخ الاسترداد: 2026/06/05 03:21 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الجذور العربية المشتركة بين المشرق والمغرب في العصر الكنعاني

نماذجُ ونقوشٌ ودلالاتٌ تاريخيةٌ حضاريةٌ

د. إبراهيم خلايلي

باحث في تاريخ المشرق العربي القديم وآثاره

مخطط البحث:

أولاً: المقدّمة.

ثانياً: إشكالياتٌ في كتابة تاريخ المشرق والمغرب العربيين في العصر الكنعاني.

1- إشكالية الاسم.

2- إشكالية التاريخ المُستَهدَف.

ثالثاً: نماذج من الحضارة الكنعانية في المغرب العربي والروابط مع المشرق العربي، الجذور:

1- **أوتيكا.**

2- قرطاجة وملفها الأثري والروابط مع المشرق العربي:

أ- العمارة.

ب- الفخاريات.

ج- العاجيات.

د- قشور بيض النعام.

هـ- المجوهرات.

و- الآثار المعدنية.

ز- النقود.

ح- النُّصُب.

ط- بعض النقوش الكتابية الكنعانية في قرطاجة ودلالاتها.

3- **كركوان.**

4- نماذج من الحضور الكنعاني على الساحل الأطلسي المغربي.

رابعاً: نماذج من الحضارة الكنعانية المغربية في جزر المتوسط وفي غربه.

1- صقلية.

2- سردينيا.

3- مالطة.

4- إسبانيا:

أ- دور كنعانيي صور ويافا، وتأسيس قادس.

ب- الحضور الكنعاني على الساحل الأطلسي والساحل الأندلسي شرقي جبل طارق).

ج- البليار **وإبيزة**، ملامح كنعانية.

- **خامساً: الخاتمة.**
- **المصادر والمراجع.**
- **الخرائط، والصور والأشكال.**

أولاً: المقدّمة

العروبةُ مصطلحٌ لا يعني البداوةَ كما في التزوير وكما يُشاعُ خطأً من أن العرب هم البدو وسكّان الصحارى فقط، فمدلول كلمة "عرب" ومعناه المعجمي والتاريخي الحضاري هو "**الماء الصافي**"[1]، وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها بهذا المعنى في أهم اللهجات العربيات القديمات كالعدنانية والأكادية والآرامية والكنعانية الأوغاريتية، وأطلق الآراميون اسم "عربايا" –أي العرب– على مملكتهم وعاصمتها الحضر شمال بغداد[الخريطة رقم1]، وذلك في المدة الواقعة بين سنة 50 ق.م و235م إبان التدخّل اليوناني والروماني في بلادهم[2]...ومن ثَمَّ فمصطلح العروبة لا يشير بمعناه القديم إلى إشكالياته السياسية الحديثة، بل هو جذر الجذور التاريخية والحضارية واللغوية في بلادنا القديمة بمشرقها ومغربها، سجّل حضوره –كاسمٍ ودلالةٍ– في أهم مراكز الحضارة في سوريا وبلاد الرافدين منذ الألف الثالث ق.م[3] [الخريطة رقم1]، مجسّداً الأبعاد والجذور والأعماق للحضارة العربية القديمة التي امتدّت من الفرات ودجلة إلى المتوسط والنيل والبحر الأحمر، ومن المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي وفي إطار هذه الحضارة المشتركة بين المشرق والمغرب شهدت شعوب العالم القديم فصولاً معرفيةً متعددةً وإبداعاتٍ ثقافيةً شتّى عبر اللغة العربية الأم بلهجاتها السومرية والأكّادية والبابلية والآشورية والكنعانية والآرامية والمصرية، وكتاباتها المسمارية والهيروغليفية والأبجدية... وما زالت لغة العروبة إلى يومِنا هذا –بفصحاها ولهجاتها العامية– تحتفظُ بالكنوز النحوية والصرفية وبحر المفردات والمصطلحات لتلك اللهجات القديمات.

---

[1])– انظر قبيسي محمد بهجت: "الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية من القرن 1 ق.م وحتى القرن 3م والأباطرة العرب الذين حكموا روما..." ط2 دمشق 2009 ، ص48.

[2])– المرجع نفسه، ص51.

[3])– المرجع نفسه، ض32–33–71.

ولعلّ سؤال الهوية في الوطن العربي سؤالٌ مطروحٌ، خاصةً في السنوات الأخيرة، بعد أن اتضحت على الأرض فصولٌ من العمل الغربي المستهدِف لأهم عناصر تلك الهوية، فدارت تساؤلات ونقاشات عدّة تخص "العروبة" والانتماء إليها في كلٍّ من المشرق والمغرب، ولئن سيطرت على بعض تلك النقاشات معلومات مشوّشة ومبتورة راجت –خصوصاً– بين غير المتخصصين من أوساط المثقفين، فإن الخلاصات الأخيرة تُظهِر التزاماً بالمعطيات التاريخية الأثرية والكتابية من قبل المتخصصين والمهتمّين، وذلك كعوامل حسم في هذا الموضوع كما سنرى في الصفحات القادمة...

وبناءً على ذلك فإن خطواتٍ جيدة بدأت تتلمّس طريقها نحو تثبيت الجذور العربية القديمة في المشرق والمغرب كإجابةٍ عن التساؤلات المطروحة، وانطلاقاً من الثوابت التاريخية والأثرية واللغوية المشتركة التي امتلكها المشرق والمغرب في العصر الكنعاني ثم في العصور اللاحقة، وهذا هو موضوع دراستنا، فالبحث في حضارة المغرب العربي وغرب المتوسط في الألف الأولى ق.م، إنما يُعَدُّ استكمالاً للبحث في حضارة المشرق العربي بدءاً من اختراع الكتابة في أواخر الألف الرابعة ق.م، وتبدو فصول الحضارة الكنعانية المغاربية في الألف الأولى ق.م –وحتى ما بعدها– موازيةً ومكمّلةً لفصول الحضارة المشرقية، أما الرابط الرئيس المستمر بين الطرفين فهو اللغة العربية، التي لا يمكن أن تحمل اسماً آخر استناداً إلى تاريخها الطويل، ومن ثَمَّ فهي تثبّت مصطلح "العروبة" بكمٍّ هائلٍ من المعطيات.

<u>ثانياً</u>: إشكاليات في كتابة تاريخ المشرق والمغرب العربيين في العصر الكنعاني:

1–إشكالية الاسم:

يُطلق اسم الكنعانيين على الشعب الذي سكن منطقة فلسطين القديمة والساحل السوري اللبناني الفلسطيني، وبعض مناطق الداخل السوري منذ مطلع الألف الثالث ق.م، أما تسمية "فينيقي" –التي استخدمها اليونانيون إشارة إلى الكنعانيِّ السوريِّ– فهي

مشتقة من الاسم الأصلي –أي "كنعاني" سواء بصيغته المصرية القديمة "فني خو"[4]، أو من المهنة التي برع فيها الكنعانيون وهي استخراج الصباغ الأرجواني "فونيكس Phoinix"[5]... وقد حلّت تسمية "فينيقي" في كثير من الدراسات التاريخية محل "كنعاني" للحديث عن المراحل التاريخية التي تبدأ من عام 1200ق.م، أي بعد تحرُّك ما سُمي خطأً بـ"شعوب البحر"[6] وعودة بعضهم إلى مدن كنعانية، كما أضحى اسم "الفينيقيين" "بونيين" في غرب المتوسط والمغرب العربي كلفظٍ روماني لاسمهم، ولهذا الاسم دلالة جغرافية وزمنية[7]...

وقد استمر اسم "كنعاني" طويلاً خلال الألف الأولى ق.م في بعض النقوش[8]، واستمر أيضاً في الألف الأولى الميلادية، فسكان المغرب العربي على سبيل المثال كانوا يسمون أنفسهم كنعانيين حتى القرن السادس الميلادي، ومن المعروف أن الكنعانيين قد سجّلوا حضورهم في المغرب العربي وغرب المتوسط وأسسوا هناك مدناً منذ القرن الحادي عشر ق.م[9]، لذا فمصطلح "العصر الكنعاني" يلائم وصف ذلك العصر

---

[4])– قبيسي: الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية، ص60.

[5])– Markoe.Glenn: Phoenicians, London, 2000, p.10.

[6])– لا يزال موضوع ما سمي بـ"شعوب البحر" ضبابياً، إذْ يشير بعض الدراسات إلى أصولهم الكنعانية، على أن كثيراً منهم اضطرّ للانتقال إلى جزر المتوسط الشرقي –كاليونان– ثم عودته إلى سواحله الأصلية في أواخر الألف الثاني ق.م...

[7])– عن هذا الموضوع انظر: -Harden Donald: The Phoenicians ,London,1971,pp.5-18. وفنطر محمد حسين: الحرف والصورة في عالم قرطاج، تونس 1999، ص 11–21.

[8])– مثل نقش البرازيل العائد إلى أواخر القرن الثاني ق.م، إذ جاء فيه (ن ح ن ا ب ن ك ن ع ن) أي: (نحن بني كنعان)، انظر عنه قبيسي، الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية... ص58–59.

[9])– انظر ما سيأتي عن هذا الموضوع لاحقاً.

المتوسطي الذي ازدهرت فيه الحضارة الكنعانية العربية في المشرق والمغرب منذ مطلع الألف الثالث وحتى أواخر الألف الأول ق.م، وذلك كعنوان كبير يجمع الحِقَبَ والأماكن التي شهدتها تلك الحضارة.

2-إشكالية التاريخ المستهدَف:

لازمت الصفة "الكنعانية" تراثنا المسطور والمعزز بالأدلة والمعطيات الأثرية في شرق المتوسط وغربه ما يزيد على الألفين وخمسمئة سنة، وقد ميّزت تلك الصفة جزءاً من هويتنا التاريخية التي تتّحد في مكوناتها عدة تسميات تشير إلى السوريين العرب القدماء في مراحل مختلفة...وفي هذا الصدد فإن بعض الآراء المخالفة للمعطيات المذكورة يجب ألاّ تؤثّر في الدراسات الخاصة بالهوية السورية ومكونات الشعب السوري القديمة، حيث تعرّض مصطلح "فينيقيين" -رغم أصالته كما رأينا- إلى الطعن، وصُنِّف الفينيقيون في بعض الدراسات -وهم الكنعانيون أصلاً- على أنهم "من الموجات الدخيلة على بلادنا"[10]...لكن اسم "الفينيقيين" يشير إلى الكنعانيين السوريين، لذا لا يمكن عَدُّهم موجة دخيلة.

ومن جهة أخرى فقد تعرّض تاريخ الكنعانيين إلى سلسلة مدروسة من الادعاءات الزائفة والمشاريع المسيئة والمحرِّفة لمعطيات تراثهم في المنطقة، بدأت منذ وعد "بلفور" عام 1917 واستمرت في القرن الواحد والعشرين، وننوّه فيما يأتي إلى أخطر تلك المشاريع خلال السنوات السابقة، التي تؤثر سلباً -وفي مراحل قادمة- في الدراسات الخاصة بوحدة العناصر الحضارية بين المشرق والمغرب العربيين، وحسب اطّلاعنا،

[10])- وتنطوي هذه العبارة على إشكالية كبيرة فيما لو اعتُمدت من قبل الدارسين، إذ قدّم المؤلف للقرّاء ملاحظة تفيد بأن الكنعانيين (أُطلق على أهل الساحل الشامي منهم اسم "فينيقيين"، وغيرهم من الموجات الدخيلة على بلادنا، كالحوريين/الميتانيين والحثيين...إلخ)...في حين تؤكّد الدراسات أصالة معظم الأقوام المذكورين في المشرق العربي القديم.

ففي السنوات الأخيرة باتت مقولة "التوراة" عن مزاعم "حدود الكيان الاسرائيلي" تتجلى في مجموعة من السياسات الإسرائيلية المدعومة من قبل الصهيونية العالمية، وتتخذ على أرض الواقع أشكالاً متعددة، ولعل أخطرها المشاريع المتعلقة بالتراث، والتي تنفّذها أحياناً جهات أجنبية بالوكالة. وهدف بعض تلك المشاريع هو وضع تعاريف جديدة للحقب التاريخية المختلفة تقصي مراحل حضارية كاملة مع إنجاز قواعد بيانات تتضارب مع أية قواعد بيانات يُفترض أن تكون موجودة سابقاً، وعلى سبيل المثال –لا الحصر– المشروع الدولي الخطير بمشاركة الكيان الاسرائيلي(مع تحفظاتنا على استخدام مسمى "إسرائيل" ومشتقاته كلّها):

Associated Regional Chronologies :(2011-2002) **ARCANE**
for the Ancient Near East and the Eastern Mediterranean.

الذي هَدَفَ إلى وضع تسلسل زمني {"توثيق"–كرونولوجي–} لمنطقة "الشرق الأدنى القديم" وشرق المتوسط انطلاقاً من الألف الثالث ق.م...مع ملاحظة أنه تم استثناء وإقصاء المواقع الكنعانية في الساحل السوري من التسلسل الزمني للشرق القديم بشكل مقصود!...

وهناك أيضاً أحدث المشاريع التي أطلقها الكيان الإسرائيلي لغرض تهويد مدينة يافا الكنعانية في فلسطين المحتلة، وذلك قبل نحو 10 سنوات وبدعم أميركي أوروبي وهو "**مشروع التراث الثقافي ليافا(JCHP) Jaffa Cultural Heritage Project** ويحتوي هذا المشروع على كثير من مفردات التهويد، تُعرِّفه سلطات الاحتلال حرفياً بأنه {مشروعٌ بحثيٌّ متعدد التخصصات، يعالج تاريخ وآثار مدينة يافا الواقعة على ساحل "إسرائيل" في الجزء الجنوبي من "تل أبيب"...}[11]، وقد تركزت التنقيبات التابعة للمشروع

[11])– إن إطلاق الكيان الاسرائيلي عبارة "ساحل إسرائيل" على الساحل الكنعاني، إنما يلخّص جهوده كلّها في استهداف الحضارة الكنعانية، مدناً ومواقعَ ورموزاً ومعطياتٍ...

على محاولة مطابقة معلومات من التوراة مع المكتشفات في يافا بما يخدم الأهداف الاسرائيلية المدعومة علمياً ومالياً من قبل أخطر المؤسسات الصهيونية التي تسعى إلى الربط القسري لبعض المدن الكنعانية بما يسمى "إسرائيل القديمة" رغم أن تلك الأخيرة وهمٌ من نسج خيال التوراة والتوراتيين، ولا وجود لها على أرض الواقع بين المكتشفات الأثرية أو الكتابية.

أمّا الحفريات الأثرية التي أدارتها السلطات الإسرائيلية في مدينة يافا فلم تثبت شيئاً يحقّق الرغبة الإسرائيلية في تهويدها، في حين تُبدي روايات العهد القديم –وبعد التعمّق فيها– أنها تخالف الرغبة الاسرائيلية، حيث تؤكد بين سطورها –ومن خلال التفسير الصحيح لها– أصالة يافا الكنعانية وصلاتها القوية بمحيطها الكنعاني وبمجالها الحيوي الكنعاني في غرب المتوسط[12]، كما تُثبت المكتشفات الأثرية أنها جزءٌ مهمٌّ من حضارة المشرق العربي القديم، وذلك على غرار جلّ المدن الكنعانية المنتشرة على الساحل السوري من أوغاريت وصولاً إلى غزة [الخريطة رقم2].

ومن أسماء يافا التي تؤكّد هويتها العربية القديمة "**يبو**" أو "**يابو**" الذي سُطر بالهيروغليفية المصرية في عهد "تحوتمس الثالث" –منتصف القرن الخامس عشر ق.م– [13]... كما ورد هذا الاسم بالصيغة ذاتها في الكتابات المسمارية، وذلك في حوليات الملك الآشوري "سنحريب" عام 701 ق.م[14]، وهي صيغة مشتقة من الصيغة الكنعانية التي تكررت في النقوش الفينيقية لاحقاً، إذ ورد ذكر يافا بصيغة "**يفي**" أي الجميلة،

---

[12])– انظر ما سيأتي عن هذا الموضوع في الفقرة الخاصة بـ"إسبانيا".

[13])– موسوعة المدن الفلسطينية (مجموعة من المختصين)، إشراف: حسين العودات، دمشق 1990م، ص 789.

[14])– Luckenbill.D.D: Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926-1927 2vols, Chicago, vol.2-239-240 –(ARAB 1,2).

وذلك في نقش "أشمن عزر" ملك صيدا الكنعاني الفينيقي، ذلك النقش الذي سُطر على تابوته الحجري ويعود إلى بداية القرن الخامس ق.م، وقد ورد في هذا النقش ذكرٌ للإله الكنعاني "دجن" كإله معبود في "يافا"، وهو إله ذو طبيعة زراعية وله علاقة بوظيفة الخصب، سجّل حضوره في جل مجامع الآلهة المشرقيين في بلاد الرافدين وسوريا القديمة منذ الألف الثالث ق.م، فعُرِف في عهد الملك "شاروكين الأكادي" (2350–2284 ق.م)، كما عُرف في مدينة ماري السورية –الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات– منذ مطلع الألف الثاني ق.م، وكذلك الأمر في مدينتيْ "إبلا" في الشمال السوري و"أوغاريت" على الساحل السوري التي ذكرته إحدى أساطيرها أنه أبٌ للإله الأوغاريتي الكنعاني "بعل"، كما عُبد "دجن" في جل المدن الكنعانية مثل "يافا" و"دور" و"غزة" و"أسدود" و"عسقلان"[15].

ويأتي ذكر الإله "دجن" في نقش كنعاني يعود إلى القرن الخامس ق.م، ويشهد على عبادته في مدينة "يافا"، دليلاً إضافياً مهماً على وحدة عناصر الحضارة التي جمعت مدن المشرق العربي القديم وممالكه في بلاد الرافدين وسوريا القديمة، وثبات تلك الحضارة قروناً طويلة من الزمن[16]، الأمر الذي يتصدى لطروحات خطيرة قلّصت الجغرافيا التاريخية لسوريا القديمة وعملت على فصلها عن محيطها الطبيعي والحضاري كبلاد الرافدين وفلسطين القديمة، وهذا ما سعى إليه عالما الآثار "بيتر أكرمانز" و"غلن

[15])– انظر: هالدار ألفرد: "العموريون"، ترجمة شوقي شعث، دمشق، ص 93، مسكاتي سابتينو: الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، 1988، ص 77، محيسن سلطان: آثار الوطن العربي القديم، دمشق 1989، ص 269، وبيطار الياس: قواعد اللغة الأوغاريتية، دمشق 1992، ص،219 وأيضاً:

- FANTAR,M: Le Dieu Dagan, extrait des cahiers de Tunisie**,t.1**. 1973, N.81-82,pp.7-31,p.16

[16])- إن تأكيد وحدة عناصر الحضارة التي جمعت مدن المشرق العربي القديم وممالكه في بلاد الرافدين وسوريا القديمة، هو أمرٌ ضروري جداً لصالح البحوث الخاصة بوحدة عناصر الحضارة بين المشرق والمغرب العربيين، فذلك يشير إلى سلسلة حضارية متينة لم تنقطع حلقاتها عبر العصور.

شوارتز" اللذان قدّما سوريا القديمة –في كتابٍ عن "الآثار السورية"– كأقاليم منعزلة حضارياً، وابتعدا تماماً عمّا يجمع السوريين القدماء من عناصر حضارية ثابتة ومستمرة منذ أقدم العصور[17]، كما لم يأتيا على ذكر الحضارة الكنعانية أو الكنعانيين ضمن عصور سوريا القديمة، ولم يقدّما "الفينيقيين" على أنهم استمرار للكنعانيين في سوريا، بل على أساس الشراكة المتوسطية مع الإغريق، أمّا المملكة السورية الكنعانية "أوغاريت" – أمُّ المدن الكنعانية– فيعرّفها المؤلفان بأنها مدينة على البحر الأبيض المتوسط كانت تتبادل التجارة مع "قبرص" و"سوريا"[18] –وكأنها ليست سوريّة!

ومن ناحية أخرى يسلّط المؤلفان الضوء على أبجدية أوغاريت المسمارية على أنها تعبّر عن "لغة سامية محلية"[19]، دون الحديث عن أنها الأبجدية الأولى في التاريخ التي طوّرت النظام الكتابي القديم، ومنها تطورت الأبجدية الهجائية الكنعانية ثم سائر حروف أبجديات العالم القديم...

إن محاولة المؤلفيْن المذكوريْن في كتابهما –الذي أرادا له أن يكون مرجع المتخصصين الأول في مجال آثار سوريا القديمة– كانت واضحة في فك الارتباط بين عناصر الحضارة السورية، هذا فضلاً عن ظهور اتجاهات جغرافية جديدة وخطيرة في

---

[17] –(PETER M.M.G.AKKERMANS AND GLENN M. SCHWARTS **THE ARCHAEOLOGY OF SYRIA** From Complex Hunter-Gatheres to Early UrbanSocieties(ca.16000-300b.c), CAMBRIDGE , First Published 2003,Fifth Printing 2009.

[18]-(THE ARCHAEOLOGY OF SYRIA, pp.335,339,340

[19])– انظر AKKERMANS and SCHWARTS : pp335–341. على أن مصطلح "السامية"–نسبة إلى "سام" هو مصطلح ذو مرجعية توراتية، ينطوي على تقسيم الشعوب على أساس عرقي مغلوط به، لذا نرفض إطلاقه على أي من الأسماء والتسميات الخاصة بالمشرق العربي القديم، نظراً لعدم صحته وعدم وجود ما يسنده على الأرض أثرياً وكتابياً، في الوقت الذي تحتفظ فيه تركة المشرق بتسميات شعوبه ولهجاته العربية بوضوح...

كتابهما، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فهما يتحدثان عن مدينة "إبلا" –في محافظة إدلب– كمدينة تقع غرب سوريا[20]!...كما يتحدثان عن أن الشريط الساحلي المتوسطي الضيّق يحدّه من الشرق "لبنان" و"جبل الأنصارية" وسلسلة "الأمانوس"[21] !

بعض الدراسات المحلية الرسمية الحديثة ارتكب خطأً حين أقصى كثيراً من المدن الكنعانية المنتشرة على طول الساحل السوري اللبناني[22]، كما أخطأ حين أغفل ذكر هوية مدينة أوغاريت كمدينة كنعانية سورية تقع على الساحل السوري، مستبدلاً ذلك بوصفها "ميناءً عالمياً"[23]، ذلك أن أي تعريف –ولو مختصراً– للمدينة يغفل سوريّتها وكنعانيتها وعروبتها يُعدُّ منقوصاً ولا يعبّر تعبيراً صحيحاً عن هوية المدينة

---

[20])– AKKERMANS and SCHWARTS.p291. وقد تبنّى أكاديميون رسميون هذا الموقع الجغرافي الجديد للمدينة، ليس بالضرورة نقلاً عن "أكرمانز" و"شوارتز"، بل ربما هنالك مصادر أخرى تدعم هذا التوجه الجيو تاريخي السياسي المغلوط به...

[21])– AKKERMANS and SCHWARTS.p.4.

[22])- إذ عُدَّت هذه الدراسة –التي حملت صفتين، محلية ودولية– مدينة "عمريت" بانها "المدينة الفينيقية الوحيدة الباقية على طول الساحل السوري اللبناني من بين مواقع الألف الأول."...ومن ثَمَّ فالمؤلف يقصي ستّ عشرة مدينة كنعانية رئيسية سجّلت حضوراً في الألف الأول ق.م، عشر مدن منها في الساحل السوري– فضلاً عن مواقع أخرى– وست مدن في الساحل اللبناني، والمدن المقصاة هي: سيميرا، طرطوس، أرواد، عرقاتة، سيانو، جبلة، تل سوكاس، تل تويني، رأس إبن هاني، أوشناتو أو أوسنو، صور، صيدا، طرابلس، جبيل، البترون، بيروت...وهذه المدن سجّلت حضورها في الألف الأول ق.م، وما زالت باقية.

[23])- وقد ورد عن "أوغاريت" في الدراسة المذكورة:(وُصِفَ هذا الموقع كأول ميناء عالمي بالتاريخ.احتلت هذه المملكة مكانة مهمة كمركز تبادل تجاري نظراً لموقعها كنقطة وصل بين وادي الرافدين وفلسطين)...

التي بلغت عالميتها من خلال كونها مملكة كنعانية سورية أبدعت إنجازاتها في ضوء الإبداعات السورية القديمة وعبر مراحل طويلة شهدتها الأرض السورية.

وعموماً، فمسيرة التاريخ الكنعاني –كجزء من التاريخ العربي القديم– تتعرّض للاستهداف الغربي الممنهج الذي لا يجوز السهو عنه أو الانقياد إليه، ولهذا الاستهداف أسبابٌ واضحة في تفاصيل بعض المشاريع الأجنبية، وتتلخّص في مساعٍ لإزاحة الحقائق الكنعانية عن بساط البحث التاريخي بما يغطّي على اعترافات كُتّاب التوراة – سواء الصريحة منها، أو تلك التي بين السطور –والتي تؤكد–إلى جانب غياب الشواهد الأثرية والكتابية– أنّه **لا توجد حضارة أو دولة قديمة تحمل اسم "إسرائيل"**، وذلك بكل ما تحمله "الحضارة" و"الدولة" من معانٍ تطابقت فعلياً مع حضارات المشرق والمغرب العربي القديم ودوله، من خلال الأصول الحضارية والجذور اللغوية والمنجزات على الأرض والتركة الإنسانية المتميزة، الأمر الذي لم يتحقق تاريخياً لمن يدّعون زوراً وبهتاناً ملكية أجزاء من الأرض في فلسطين وسوريا والعراق على وجه الخصوص، والذين تتلخص إجراءاتهم منذ عقود في السطو على الأصول الحضارية العربية ومحو جذورها.

ومن ثَمّ فإن العبث بمعطيات المشرق العربي القديمة –وعلى رأسها المعطيات الكنعانية– يهدّد منظومة البحث الخاصة بتلك الحضارة بالخلل والتشويه في شُقّيها المشرقي والمغربي، ولعلها إشكالية بحث كبيرة...لذا فالمهمة التي تقع على عاتق مراكز البحوث والأكاديميات المعنية في المشرق والمغرب هي تحصين معطياتها الأثرية والتاريخية ورصد المحاولات الاسرائيلية والغربية المضادّة وضبطها والتصدي العلمي لها وتعريتها محلياً ودولياً، وتعزيز التواصل العلمي بين تلك المراكز والأكاديميات وإقامة ورشات العمل الخاصة بالموضوع، مع دعم البحوث الخاصة بوحدة العناصر الحضارية بين الطرفين وتطويرها.

- **<u>ثالثاً</u>: نماذج من الحضارة الكنعانية في المغرب العربي والروابط مع المشرق العربي، الجذور:**

في أواخر الألف الثانية ق.م، استثمر الكنعانيون بعض الظروف العسكرية والتقنية –ومنها أفول نجم الأسطول الإيجي وتطور بناء السفن وعلم الابحار الكنعاني– فأقاموا جسراً عملاقاً بين حوضيْ البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي، وأضحت أساطيلهم تصل بين ضفاف المتوسط مستندةً إلى جزره ومرافئه الطبيعية، وحلّوا في العديد من تلك الجزر، واتصلوا بسواحل المغرب العربي.

وقد تحدث المؤرخون القدامى عن الحضور الكنعاني في الأقطار المغاربية التي كانت تدعى بلاد "**لوبة القديمة**" والتي يُعَدُّ المكوِّن العربي القديم أحد مكوناتها.[24]

ومن المدن التي أسسها الكنعانيون في تونس "أوتيكا" و"قرطاجة" و"هيبون" –التي تدعى اليوم "بنزرت"– و"هدروميتوم"[25]–سوسة الحالية على الساحل التونسي– وثمة مدينة "لمطة" على الشاطئ جنوب سوسة، و"كركوان" على الساحل [الخريطة رقم3].

---

[24])– "لوبة" هو الاسم الذي تسمّت به مناطق المغرب العربي الممتدّة مما وراء السرت الأكبر إلى المحيط الأطلسي، و"اللوبيون" اسمٌ وارد في نقش عُثر عليه في مدينة "مكثر" على بعد 150 كم إلى الجنوب الغربي من قرطاجة(شد لوبيم=أرض اللوبيين) ويؤكد الباحثون التونسيون أن "اللوبيين" هم السكان الأصليون في المغرب العربي، وهم **خليط من عناصر محلية وكنعانية وأخرى آتية من الجزيرة العربية**، في حين لا وجود لتسميات "أمازيغ" أو "بربر" في التاريخ المغاربي القديم، بل هي تسميات ظهرت في العصر الوسيط...انظر إلى المداخلات المهمة والجديدة للمؤرخيْن التونسيين د.محمد حسين فنطر ود.لطفي الرحموني، التي عرضتها قناة نسمة التونسية الفضائية عن هذا الموضوع وفق الرابطين الآتيين:
<u>https://www.youtube.com/watch?v=gP2R7QEuoAc</u>
https://www.youtube.com/watch?v=xLUMZCX_Mt8

وعلى السواحل الغربية الليبية [الخريطة رقم4] أقام الكنعانيون مدن "لفقي" و"ويّة" و"سبراطة" و"لبدا"–مسقط رأسِ سبطيم سفير، امبراطور روما في المدة الواقعة بين 193–211م– وهناك مدينة "ليكش" (ليكسوس) على الضفة الجنوبية من المضيق الفاصل بين إسبانيا والمغرب الأقصى[الخريطة رقم4] ، ومدينة "تفاشة" المعروفة اليوم باسم "تبازة" وتقع غرب مدينة الجزائر، وكذلك قرتا –قسنطينة الحالية– [26]... أمّا الشريط الساحلي الجزائري من "هيبوريجيوس" (عنابة) إلى "جنجن" (غورايـة) فيعكس التأثير الكنعاني القرطاجي في المنطقة وخاصةً من خلال التجارة، وفي غرب الجزائر على طول الساحل الوهراني، ثمة شواهد على حضور كنعاني في القرنين السابع والسادس ق.م، وربما وجدت هذه الشواهد غربي وهران في "أندلسيات" وفي "أرشقون" –تلك الجُزيِّرة الواقعة بالقرب من نهر "سيجا" (طفنة)– وفي هذه المنطقة فإن المقبرة القديمة والمعمرة الساحلية قدّمت شواهد على حضور كنعاني يعود إلى القرن السابع ق.م، وقد دلّ الفخار المبكر المصنوع يدوياً وبواسطة الدولاب على أنه مختلف عن فخار قرطاجة، ومطابق للأنواع الكنعانية المشرقية التي كانت منتشرة على الساحل الأندلسي الاسباني الذي يبعد عن المنطقة المذكورة 165كم، ممّا يشير إلى روابط بين كلتيْ المنطقتين المتوسطيتين الغربيتين مع المشرق الكنعاني[27].

---

[25])– وهي تسميتها باللاتينية، أمّا باليونانية فهي "أدروميتوس"، وتعود كلمة "أدرم" إلى جذر كنعاني إذ إنّ لفظة "در" وردت في النصوص البونية...انظر فنطر محمد حسين: دراسة بعنوان "ماذا عن سوسة قبل الغزو الروماني"، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية (REPPAL)1، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1985، ص21–25.

[26])– عن هذه المدن انظر: فنطر محمد حسين: "الفينيقيون بُناة المتوسط"، ط1، تونس 1998. وأيضاً: فنطر: "الحرف والصورة في عالم قرطاج" وأيضاً: قبيسي: "الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية...

[27])- Markoe.op.cit, p.182.

وهكذا فحول خليج تونس بدأت مسيرة كنعانيي المشرق العربي في المغرب العربي، وتعد "**أوتيكا**" و"**قرطاجة**" أقدم وأهم مدينتين كنعانيتين على الطريق المؤدية إلى المتوسط المركزي والغرب البعيد، وقد برزت بعدهما مدينة "**كركوان**"...

1–أوتيكا:

أُسِست "أوتيكا" –الواقعة على الساحل التونسي وعلى بعد 30كم شمال العاصمة تونس– قبل "قرطاجة" بمئتين وسبعٍ وثمانين سنة أي سنة 1101 ق.م وبعد تأسيس "جديرة" سنة 1104 ق.م...وحسب المؤرخ الروماني "إبلينوس"(23–79م) فقد أُقيم معبد "أبولو" –ملقرت الكنعاني– في "أوتيكا" سنة تأسيسها [28]، وقد كتب هذا المؤرخ سنة 77م قائلاً: "إن العارضات الخشبية الأرزية التي سُقف بها معبد أبولو، هي نفسها التي انتصبت في "أوتيكا" عند تأسيسها قبل (ألف ومئة وثمانٍ وسبعين عاماً)[29].

وقد كشفت الدراسات الطبوغرافية التي أُجريت في تسعينيات القرن الماضي عن أن "أوتيكا" كانت تقع على رأس ساحلي (شناخ) بجُزَيِّرةٍ تحمل شكل المعمرة الكنعانية وأسلوبها، وكان موقع المدينة مناسباً كمحطة تَزَوُّدٍ على الطريق التجارية من جبل طارق ومن الساحل الجنوبي لسردينيا الذي كان يقع إلى شمالها مباشرةً[30].

2–قرطاجة وملفها الأثري والروابط مع المشرق العربي:

هي أعظم مدن الكنعانيين وأجلُّها في المغرب العربي الكبير، تمكنت بفضل سيادتها السياسية والتجارية من أن تكون امبراطورية، امتدت في القرن السادس ق.م من

---

[28] -(Markoe.op.cit, p.181.

[29] -(Fantar.Mhamed: "North Africa". "The Phoenicians, ed by S.Moscati, Milan, Bompiani, 1988, p.166.

[30] -(Markoe, op.cit .p.181.

حدود "لوبة" إلى أعمدة هرقل، وضمت جزر البليار ومالطة وسردينيا وبعض المواقع على ساحل إسبانيا والغال، وقد جعلها ذلك أكثر شهرة من أمها صور...[الخرائط ذوات الأرقام 4، 5، 6،7].

تتلاقى النصوص القديمة والأدلة الأثرية لتثبت أن تأسيس قرطاجة يعود إلى نهاية القرن التاسع ق.م، وقد جاءت أخبار تأسيس المدينة من خلال أسطورة "عليسة" (أليسار) التي يؤكّد بعض ما جاء فيها، ما احتوته حوليات صور من أن عليسة غادرتها وأسست قرطاجة في السنة السابعة لحكم أخيها بجماليون (814-803ق.م)[31]. وقد مكّنتنا التنقيبات في موقع قرطاجة من تكوين صورة عن الملف الأثري القرطاجي وارتباطه بالمشرق العربي، وذلك من خلال المعطيات الآتية:

---

[31]- أشهر المؤرخين الكلاسيكيين الذين دوّنوا أسطورة عليسة هو المؤرخ الروماني "يوستينوس" (القرن الثاني الميلادي)، وتعد كتاباته مصادر غنية بالمعلومات التي تخص تاريخ قرطاج والعالم الفينيقي البوني...انظر عنه: "أوروسيوس": تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط1، 1982،بيروت ص7.

وأيضاً: دوكريه فرانسواه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ط1، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق 1994،ص42-45.

وأيضاً: Moscati.S:ThePhoenicians,Milan 1988,pp.42,54,171,56

وكذلك فمن المؤرخين الذين ذكروا أسطورة عليسة وتأسيس قرطاج المؤرخ اليوناني تيمايوس (القرن الثالث ق.م)، الذي اطلع على مؤلفات القرطاجيين...انظر عنه: الفرجاوي أحمد: بحوث عن العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، تونس 1993، ص 40، وأيضاً: غانم محمد الصغير: التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، الجزائر1979، ص74... وعصفور محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية، بيروت 1981، ص64-65. وينبغي أن نسلط الضوء على أهم الدراسات التي تناولت تاريخ قرطاج، وقامت بتحليل أحداثها وأساطيرها ومعطياتها التاريخية والأثرية وهي: فنطر محمد حسين: الحرف والصورة في عالم قرطاج، تونس 1999.

أ–العمارة:

أثبتت حفريات التسعينيات من القرن الماضي في قرطاجة وجود أطلالٍ كنعانية تعود إلى القرن الثامن ق.م، ولعل أهمها الحفريات التي أُجْرِيَتْ في "تل بيرصة"[32] بالمدينة والتي كشفت عن بناء سكني يغطي مئتيْ عام من القرن الثامن إلى القرن السادس ق.م،[الشكل رقم1] ويطابق مخطط هذا البناء مخططات البيوت القديمة في شمال سوريا العائدة إلى مرحلة البرونز المتأخر، الأمر الذي يعكس الاستمرارية في التقاليد المعمارية، ففي الطبقة الثانية من البناء المكتشف تألّف البيت من بناء مستطيل طويل له فناء كبير وسلسلة من أربع غرف اتّضعت طولياً على شكل أزواج في الخلف، أما الطبقة الثالثة من البناء فكشفت داخل البيت القرطاجي ساحة وأربع غرف سكنية، واحدة كبيرة أساسية، وثلاث غرف موازية في الأمام، وهذا النمط مألوف في سوريا القديمة، فالبيت القرطاجي بشكل عام يحكي الأسلوب المعماري الذي وُجد –على سبيل المثال– في صور المدينة الأم[33].

ب–الفخاريات

قدّمت طبقات معبد "صلامبو" في قرطاجة آلاف الأُرَن والجرار الفخارية التي استُخدمت لأغراض دينية، يعود أقدمها إلى القرن الثامن ق.م، وقد تميزت بأنها أُرَن حمراء لامعة مزينة بخطوط سوداء[34] تطابق أُرَن مدينة أوغاريت الكنعانية السورية في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م[35] [الشكل2]... ولعلها إشارةٌ من بين آلاف الإشارات التي يجب التقاطها في إطار الحديث عن التواصل الحضاري ووحدة الأصول الثقافية بين المشرق الكنعاني العربي والمغرب.

---

[32])– "بيرصة" في المعجم الآرامي تعني "القلعة".

[33])- Markoe.op.cit, p.71.

[34])- Harden, op.cit.pp.86-89.

[35])– محيسن سلطان: "آثار الوطن العربي القديم" (الآثار الشرقية) دمشق 1989، ص283.

ومن التماثيل القرطاجية الفخارية تمثالان لامرأتين تعتلي كلتاهما عرشاً وتضع الأولى يدها اليمنى على بطنها، أما الثانية فقد حملت مروحة بيدها، والثوب الذي غطّى كلتيْهما لا يُظهر من الجسم إلا الوجه والذراعين والقدمين، ويعود التمثالان إلى القرن السادس ق.م ويحملان طابعاً مشرقياً[36]...[الشكل3]...هذا فضلاً عن عدد من الدمى الفخارية التي تعود إلى القرن السادس ق.م وتجسّد آلهةً وتحمل تأثيرات مصرية[37].

ج-العاجيات

عُدَّ النحت العاجي من أهم العناصر الحرفية الكنعانية، وقد أخذ ينمو في المنطقة السورية، وشهدت أشكالاً منه كل من آلالاخ وأوغاريت (في سوريا) ولكيش ومجدّو(في فلسطين)، واستمر الانتاج الكنعاني من القرن الثالث عشر حتى السابع ق.م حاملاً تأثيرات مصرية وإيجية[38]. ونظراً إلى حجم التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربيين في الحقبة القرطاجية، فقد ذهب بعض الباحثين إلى القول "إن انعدام وجود الفيلة في سوريا -مصدرِ عاج الكنعانيين- في الألف الأول ق.م وتحديداً في القرن الثامن منه، جعل القطع العاجية القرطاجية الأولى -والعائدة إلى القرن السابع ق.م- استمراراً للإنتاج السوري"[39]...وقد كانت لقرطاجة مصادرها للحصول على العاج إذ حملته لها قوافل "الغارامانت" عن طريق البر فضلاً عن مزارع الفيلة الخاصة بها في المغرب العربي، حيث استخدمت الفيلة في حروبها بكثرة[40].

---

[36]- الفرجاوي، العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ص79.

[37]- Harden, loc.cit.pp189.

[38]- Uberti.Maria.Luisa: "Ivory and Bone Carviing" in Moscati.S:The Phoenicians ,op.cit.p.404.

[39]- عن هذا الموضوع انظر كلاً من Uberti.op.cit,p.416,Harden,op.cit.p.146, Burney.Charles: From Village to Empire,London,1977 ,p.161.

[40]- Harden,loc.cit.p.147.

ومن أهم الأدوات العاجية القرطاجية التي عُثر على نماذج منها في المشرق العربي، قطعة من القرن السابع ق.م، عُثر عليها في "تل يونو" اتخذت شكل إلهة واقفة تلبس ثوباً مزركشاً ذا زنّار يصل حتى القدمين، أما شكل الرأس فقد حمل الأسلوب المصري– الكنعاني، وقد ضُمَّت اليدان إلى الصدر وأمسكتا بالثديين[41] [الشكل4].

أحد الأمشاط العاجية القرطاجية يصوّر أبا الهول وعلى ظهره نسر وأمامه زهرتا لوتس وثور حنى رأسه لأزهار اللوتس، وعلى طرفيْ المشط ثلمان نصف دائريين[42] [الشكل5].

د–قشور بيض النعام:

نظراً إلى قيمة البيض الرمزية فقد بدأ استخدام قشور بيض النعام المزينة بالألوان كودائع في قبور قرطاجة منذ القرن السابع وحتى الثاني ق.م، وذلك على غرار المشرق العربي القديم الذي عرفت حضاراته الرافدية والكنعانية والمصرية قشور بيض النعام واستخدمتها في القبور منذ الألف الثالث ق.م، وقد تنوعت الأدوات المصنعة من قشور بيض النعام في قرطاجة لتشمل الأقنعة والأواني والأكواب والأطباق[43] [الشكل6].

هـ–المجوهرات:

راجت مهنة صياغة المجوهرات عن طريق تجارة المعادن عبر المتوسط وكانت مرتبطة بالتقاليد الفنية القديمة للمشرق الكنعاني العربي، فمدينة "جبيل"–على سبيل المثال وفي الألفين الثالث والثاني ق.م– قدّمت أمثلة جيدة تمثلت في الصدريات والقلادات

---

(41)- Harden,op.cit,p.200, Uberti.op.cit,p.416.

(42)- ibid.p.201.

(43)– دوكريه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ص85، وأيضاً:
Moscati: "Ostrich Eggs",in The Phoenicians, op.cit, pp.453-456.

الذهبية المشغولة بفنّيْ "النقش المُنتبر"[44] و"صفحة المينا"[45]...وتأتي مجوهرات "أوغاريت" و"غزة" مستبقةً الأشكال والعناصر التي حملتها مجوهرات الألف الأول ق.م، وهي فترة شهدت تأسيس مدن في المغرب العربي وغرب المتوسط، فأضحت المجوهرات أحد أهم منتجات الحِرَف الكنعانية المغربية، ويعدُّ التمييز بينها–سواء كانت مشرقية أم مغربية– أمراً صعباً على الباحثين، بسبب تجانسها، وبسبب النزعة التقليدية العميقة الجذور[46]...

وقد شملت التركة الأثرية القرطاجية من المجوهرات، الأقراط والأساور والخواتم والقلادات والميداليات والحلقات والتمائم والعقود وأشكال الجعلان، وحمل بعض هذه اللقى تأثيرات المشرق الكنعاني ومصر واليونان، كما صوّر رموزاً دينية أصولها مشرقية كالثور والكبش والأفعى، والهلال والقرص، وقرص الشمس المجنح، ورموز بعض الآلهة القرطاجية وأهمها الإلهة الأم "تانيت".[الشكل7]

و–الآثار المعدنية:

في الوقت الذي بلغ فيه الصاغة القرطاجيون مرحلة كمال حقيقي في صياغة المعادن الثمينة، كانت قرطاجة مسؤولة عن إنتاج شواهد قيّمة من الأدوات المعدنية الأخرى بلغت ذروة إتقانها في الأدوات البرونزية كالمحالق التي صُوِّرت عليها موضوعات دينية وميثولوجية عُدَّت خليطاً من أفكار "إقنوغرافية" كنعانية ومصرية وأخرى أجنبية إغريقية وأتروسكية[47]، أمّا أهم تلك التأثيرات فكانت مصرية وكنعانية، إذ

---

[44])– "ريبوسا": أي النقش على صفيحة معدنية رقيقة يُدفَع به بالطرق من وجه الصفيحة الأسفل.

[45])– "كلوازونا": صفحة من الميناء –على أرضية معدنية– عليها رسوم ملونة مفصول بعضها عن بعض بفواصل معدنية.

[46])– عن هذا الموضوع انظر: Harden,loc.cit.p.202.
Pisano.Giovanna: "Jewellery", in: Moscati. The Phoenicians, p.370.

[47])- Acquaro.Enrico: Bronzes, in: Moscati. The Phoenicians, p.432.
دوكريه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ص 85.

حمل بعض المحالق أشكال آلهة مصرية مثل "إسيس" تحتضن "حورس"، و"حورس رع"، وآلهة كنعانية مثل "ملقرت" و"رشف"[48] [الشكل8].

ز–النقود:

بعد أن سكّت مدينة صور العملة في منتصف القرن الخامس ق.م، تبعها في أواخره كل من صيدا وجبيل وأرواد وقرطاجة[49]...[الشكل9]...أمّا أول النقود القرطاجية، فكان من الذهب والفضة، سُكَّ عام 410 ق.م وحمل اسم المدينة بالكنعانية "قرت حدشت"[50] أي المدينة الجديدة، كما حملت هذه النقود على وجوهها صورة الإلهة الكنعانية "تانيت"[51]، في حين حملت ظهورها صورة رأس حصان أو حصاناً ونخلة وأحياناً أسداً ونخلة[52]...وكان رأس الإلهة "تانيت" أهم ما يميّز النقود القرطاجية، وبدرجة مماثلة في الأهمية يظهر الحصان –ورأس الحصان–على تلك النقود كصفة مميزة لمعظم الإصدارات حتى نهاية قرطاجة عام 146 ق.م،[الشكل10]، ويرى باحثون أنه رمز للّوبيين أو لإله الحرب أو إله الشمس[53].

ح–النُّصُب:

النُّصُب فكرة قديمة درج استعمالها ابتداءً من منتصف الألف الثالث ق.م في منطقة المشرق العربي القديم لتخليد الحوادث المختلفة بالصورة والكلمة، وقد عُدَّ نصب "العقبان" الأثر الأول من هذا النوع، عُثر عليه في "جرسو"، ويعود إلى عصر السلالات

---

[48]) -Acquaro op.cit.p.466,Harden, op.cit.p.157.

[49]) -Acquaro.E: "Coins",in: Moscati. The Phoenicians, p.432.

[50]) – الفرجاوي، العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، ص 106.

[51]) – انظر ما سيأتي عنها لاحقاً.

[52]) – Harden, op.cit.p.158.

[53]) -(Jenkins.G.K and Lewis.R.B: Carthaginian Gold and Electrum Coins, Royal Nomismatic Society.pub.no.2, London 1963,pp.11-12.

الباكرة الثالث، حمل كتابات ومشاهد مثلت أول معاهدة تاريخية معروفة بين ملكيْ "لكش" و"أوما [54] [الشكل11].

وقد تعمّم هذا الابتكار السومري، واستخدمه الكنعانيون فيما بعد ووصل إلى المغرب العربي الذي أنتج الأنصاب بكثرة.

ولعل من أهم النُّصُب الكنعانية التي تُعَدُّ نماذج لبعض الأنماط المشابهة لها في المغرب العربي، نصبٌ من مدينة "عمريت" الكنعانية السورية، أُرِّخ بين القرنين التاسع والسادس ق.م، وهو يصوّر رجلاً يمتطي أسداً، ويرتدي الرجل لباس رأس مصري وأُزرة مصرية شاهراً هراوة بيده اليمنى المرفوعة، ويمسك بذراعه الأيسر شبلاً، ويبدو الأسد متجهاً بالرجل نحو جبل صخري، قمة هذا النصب مقوّسة ويظهر عليها قرص شمس مجنّح وأسفله قرص آخر وهلال[55]، وهي رموز تكرر ظهورها على أنصاب المغرب العربي في الألف الأولى ق.م كما سنرى.

وهناك نصب "يحاو ملك" من مدينة "جبيل" العائد إلى أواخر القرن الخامس ق.م، يصوّر ملكاً واقفاً أمام إلهة جالسة على العرش ويقدّم لها كوباً، وترتدي الإلهة ثوباً طويلاً ويعلو رأسها قرص مصري محفوف بقرنين، أمّا يداها فتحمل إحداها صولجاناً طويلاً يشبه ساق نبات البردي، والثانية مرفوعة في حركة تبريك[56].

وقد قدّمت مدينة قرطاجة آلاف النُّصُب التي عُثر عليها خاصةً في منطقة المعبد المقدس، ووظيفة هذه النُّصُب دينية نذرية صورت أيضاً طبيعة قرطاجة وحياتها وتقاليدها وعاداتها من النواحي الدينية واللغوية والاجتماعية والفنية الحرفية...ومحاكاةً لنُصب

---

[54]- انظر كلاً من الصفدي هشام: تاريخ الشرق القديم ج1"الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية"، دمشق 1983- 1984، ص165، محيسن: "آثار الوطن العربي القديم"، ص141-150.

[55]- Moscati: "Stelae" in The Phoenicians, op.cit.p.304.

[56]- Moscati: "Stelae" in The Phoenicians, op.cit.p.304.

المشرق الكنعاني، حملت نُصب قرطاجة رموز المدينة كرمز الإلهة تانيت، والقرص والهلال (المزدوج السماوي) وقرص الشمس المجنح والقيروق (صولجان هرمز) ورمز القنّينة والكف المبسوطة المرفوعة وزهرة اللوتس المصرية (النيلوفر) والأشكال الهندسية والحيوانية والنباتية –كالنخيل– والسفينة والآلات الزراعية وصور الأشخاص...هذا فضلاً عن النقوش التي سُطرت على بعض النُّصُب بالكنعانية، مشيرةً إلى الحياة الدينية والاجتماعية واللغوية والسياسية...[الشكل12]

ويجدر بالذكر أن رمز الإلهة تانيت الذي يلازم جل النُّصُب القرطاجية، يحمل شكل مثلث متساوي الساقين وقرصاً، يفصل بينهما قضيب أفقي تمثّل نهايتاه ساعدين، بما يشبه امرأةً ترتدي ثوباً طويلاً وترفع ذراعيها[الشكل13]، وقد شوهد هذا الرمز على مكتشفات مؤرخة بين القرنين الرابع والثاني ق.م، منها أيقونات عُثر عليها في سفينة غارقة قرب مدينة عكّا الفلسطينية المحتلّة، وموازين رصاصية عُثر عليها في "أم العواميد" و"بيروت"، وقناديل فخارية وُجدت قرب مدينة طيبة المصرية[57].

وللإشارة فالموطن الأم للإلهة القرطاجية "تانيت" هو المشرق الكنعاني[58]، ويدعم هذه المعلومة نقشان مسطوران، الأول مكتشف في قرطاجة، سُطرت عليه عبارة "تانيت لبنان"[59]، والثاني ذُكرت فيه "تانيت" إلى جانب الإلهة الكنعانية الأم "عشترت"، ويعود إلى

---

[57])– الفرجاوي: العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ص 103.

[58])– Ribichini.Sergio:Beliefs and Religious Life, in Moscati, op.cit,p.114

[59])– انظر النقش رقم (3914) في "ديوان النقوش السامية":
CORPUS INSCRIPTIONUM SEMITICARUM, PARS PRIMA,
Ab Academia Inscriptionum et Litterarum
Humaniorum.Condinins.Tomus III, Paris IIS **(C.I.S.1).**

القرن السابع–السادس ق.م، وقد عُثر عليه في "سربتا" بالقرب من مدينة صيدا اللبنانية، وهو يمثّل نذراً للإلهتين[60].

وتحتل نُصب مدينة سوسة في تونس[61] أهمية كبيرة إلى جانب نُصب قرطاجة، وهي تغطي مدة تمتد من القرن السادس ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، أمّا أنماط تلك النُصب فمشتقةٌ مباشرةً من الأنماط الكنعانية المشرقية[62]...

وقد برز من ملامح نُصب سوسة ورموزها، رمز "تانيت" و"المزدوج السماوي" و"قرص الشمس المجنح" و"القيروق" و"القنينة" و"اليد المرفوعة" و"زهرة اللوتس" وأشكال الآلهة والأشخاص والحيوانات والزخارف النباتية والهندسية والمذبح والمحرقة و"البياتل"[63].

وهكذا تقدّم نصب سوسة أدلّة أثرية ممتازة على ثبات قيم الحضارة الكنعانية واستمرارها في المغرب العربي رغم الغزو الروماني ورغم أفول نجم العاصمة قرطاجة [الشكل14].

ط–بعض من النقوش الكتابية الكنعانية في قرطاجة ودلالاتها:

أتاحت تلك النقوش تتبُّع تاريخ اللغة الكنعانية في المشرق العربي القديم والتطورات الطارئة عليها، ومن خلالها يمكن رصد الروابط اللغوية والحضارية وضبطها بين المشرق والمغرب العربيين مدةً تتجاوز الألف سنة بعد نشوء أول معمرة كنعانية في المغرب

---

[60]- Ciasca.Antonia: Phoenicia, in Moscati, op.cit,p.149.

[61]- أنظر عنها: CINTAS.P:Le Sanctuaire Punique De SOUSSE, Revue Africaine, 1947.N410-411, PP.1-80.

[62]- Harden, op.cit.p.193.

[63]- ومفردها "**بَيْتَل**" وهو رمز يشير إلى حضور إلهي وكأنه تجسيم لهذا الحضور، وأصل المصطلح هو عبارة "بيت إل"، وكما هو معروف فإل هو كبير الآلهة الكنعانيين في المشرق العربي، ويحمل اسمه معنى الألوهية.

العربي، وإلى مدةٍ تجاوزت ميلاد السيد المسيح بقرون...على أنه لم يبق في قرطاجة من الآثار المسطورة بالكنعانية سوى نحو ستة آلاف نقش، في حين اندثر معظم محتويات مكتبات المدينة ومحفوظات معابدها عام 146 ق.م –سنة دمار قرطاجة على يد الغزو الروماني– ولم يبقَ من المؤلفات سوى نُسَخٌ مترجمة إلى اليونانية واللاتينية[64].

تقدّم النقوش المذكورة دلالات مهمة تلقي الأضواء بوضوح على العلاقات والجذور الحضارية المشتركة بين المشرق والمغرب العربيين، وهي تتلخص فيما يأتي:

1– **الحياة الدينية:** وتشمل الآلهة والفضاءات المقدّسة والوظائف والرُّتب الدينية، فمن خلالها عرفنا الآلهة المعبودين والآلهة الذين سجّلوا حضورهم في المغرب العربي، وجلُّهم ذو أصول مشرقية عربية كنعانية ومصرية، أو يتّصل بتلك الأصول باسمه أو بمعاني اسمه أو بوظيفته، فحملت النقوش أسماء كل من "تانيت"[65] و"إل"[66] و"بعل حمون"[67] و"بعل شميم/السموات" و"بعل مجنم" و"عشترت"[68] و"شدرفا" [69]و"شمش"[70] و"ملقرت"[71] و"إشمن"[72] و"صيد"[73] و"رع"[74]

---

[64]- Markoe.op.cit, p.114.

[65]– اسم "تانيت"–الإلهة القرطاجية ذات الأصول المشرقية– وارد في مئات النقوش البونية التي جُمعت في "ديوان النقائش السامية"–سابق الذكر الذي اختصرنا اسمه بصيغة C.I.S.1– انظر على سبيل المثال النقوش ذات الأرقام (3914)،(4620)، (4796) (4862)،(4944)، (4949)، C.I.S.1 (4994)

[66]- C.I.S.1 (4943).

[67]– انظر على سبيل المثال (4838)، (4943)، C.I.S.1 (5024)

[68]– وردت أسماؤهم مجتمعةً حسب (3778) C.I.S.1 (3914)

[69]- C.I.S.1 (3921)

[70]- C.I.S.1 (3780)

[71]- C.I.S.1 (3823)،(3253)

[72]- (3259)، (3351)،C.I.S.1 (3826)

[73]- (3399)،C.I.S.1 (3413)

[74]- (3778)،C.I.S.1 (3803)

و"إس"[75] و"كوشر/كوثر"[76]...أما الفضاءات المقدسة التي تُطلعنا عليها تلك النقوش فلا تختلف عن تلك التي في المشرق العربي ومنها "المقام"[77] و"بيت الإله/المعبد"[78] و"قدس الإله"[79] و"المقْدِس"[80]...وبخصوص الوظائف والرتب الدينية، تشير النقوش القرطاجية إلى "خادم المعبد"[81] و"الكاهن"[82] و"كبير أو رئيس الكهنة"[83]...

2- **الحياة السياسية:** ولعل أهم إشارة سياسية تقدّمها نقوش مدينة قرطاجة هي تلك التي تؤكد وجود "مجلس شعب" فيها (عم قرت حدشت) أي (شعب قرطاجة) إلى جانب "مجلس شيوخ"، وهي معلومة أكّدها أيضاً المؤرخان "أرسطو" (384-322 ق.م) و"ديودوروس الصقلّي" (80-20 ق.م)[84]، وقد عرفت المدن الكنعانية السورية هذه المجالس، كما عرفها جل مدن المشرق العربي، وأهمها على سبيل المثال "تدمر" وذلك من خلال كتابة مؤرخة في عام51م تذكر "مجلس كل التدمريين" (جبليا تدمريا كلهم)[85] .

3- **الحياة الاجتماعية:** وتشمل معلوماتها الوظائف والنشاطات الاقتصادية في المجتمع، كما تلقي الضوء على أسماء الأعلام والوظائف مثل "القاضي" (شفط)[86]

---

[75]- C.I.S.1 (4948)

[76]- C.I.S.1 (3261)

[77]- C.I.S.1 (4872)،(3352)،(3351)

[78]- C.I.S.1 (4844)،(4841)،(4838)،(3780)،(3779)

[79]- C.I.S.1 (3778)

[80]- C.I.S.1 (3914)

[81]- C.I.S.1 ...(3780)،(3779)

[82]- C.I.S.1 (4862)

[83]- C.I.S.1 (3914)

[84]- FANTAR.MHAMED: Cartage. Tume1,Tunis,1993,p.182.

[85]- الأسعد خالد و فيين أوفه ويدبرغ-هانسن: "زنوبيا ملكة تدمر والشرق"، تحقيق: محمد جواد البندر، 2006

[86]- C.I.S.1 (3778)،(3352)،(3351)

والصيدلي[87] والتاجر والحرفي والمحتسب[88] والنجّار[89]...أمّا أهم أسماء الأعلام –التي نجد مثلها في المشرق الكنعاني الفينيقي فهي "بعل يتن"[90]، "أدن بعل"[91]، "عزر بعل"[92]، "حنبعل"[93]، "عبد ملقرت"[94]، "بد بعل"[95]، "عبد صفن"[96]، "عبد أشمن"[97]، "جر عشترت"[98]، "أمت عشترت"[99]، "أمت ملقرت"[100]، "متنا بعل"[101] "علست"[102]...

4– **اللغة والكتابة الكنعانية:** وأخيراً تقدّم النقوش المكتشفة في قرطاجة –والمغرب العربي عموماً– معلومات مهمة عن الكنعانية كلغة وكتابة هناك، وما شهدته من تطورات تُضاف إلى تاريخ أختها الكنعانية في المشرق العربي وصولاً إلى القرن العاشر ق.م [الشكل 15]، وكانت تطورات عدة قد حدثت في أماكن مختلفة من المشرق العربي مكّنت الأبجدية المعروفة من الظهور، ويمكن إدراجها في خطوات البحث عن اللغة الكنعانية وكتابتها في المغرب العربي، ومن هذه التطورات كتابات جبيل القديمة في

---

[87]- C.I.S.1 (3784)

[88]- FANTAR MHAMED: KERKOUANE 1,Tunis-1987 P.111.

[89]– فنطر محمد حسين: "تونس أرض الكتابات"، الكتابة في البحر المتوسط، تونس 1988،ص59.

[90]- C.I.S.1 (3252)

[91]- C.I.S.1 (3255)

[92]- C.I.S.1 (3257)

[93]- C.I.S.1 (3258)

[94]- C.I.S.1 (3296)

[95]- C.I.S.1 (4038)

[96]- C.I.S.1 (3360)

[97]- C.I.S.1 (3361)

[98]- C.I.S.1 (4982)

[99]- C.I.S.1 (3824)

[100]- C.I.S.1 (3823)

[101]- C.I.S.1 (3838)

[102]- C.I.S.1 (4768)

الألف الثالث وبدايات الألف الثاني ق.م[103]، وكذلك كتابات فلسطين العائدة إلى الألف الثاني ق.م[104]، وكتابة سيناء[105]، ثم أبجدية أوغاريت التي سُطرت بالمسمارية، وتكوّنت من ثلاثين رمزاً (27 حرفاً ساكناً و3 أصوات) ووُضِعت على رقيمٍ صغير[106]، وقد أظهرت لغة أوغاريت تطابقاً مع العربية –وبسبب صعوبة إشاراتها المسمارية– فقد اخترع لها اللغويون حروفاً لاتينية افتراضية لكتابتها، وسُميت العملية TRANSLITERATIO أو ما يُعرف بالعربية بعملية "النقحرة" أي نقل حروف لغة ما إلى لغة أخرى، فوضعوا لكل علامة أوغاريتية حرفاً لاتينياً يوازيها في النطق والكتابة. أمّا العلامات التي ليس لها نظير في الأبجدية اللاتينية كالخاء والحاء فقد وضع لها اللغويون حروفاً باستعمال النقاط[107]، مما يؤكد أهمية العربية في الدراسات الأوغاريتية، فالعربية أكثر استيعاباً للأوغاريتية وأهم لتفسيرها.

وما هو مهم هو أن كتابة تاريخ اللغة الكنعانية في المغرب العربي لابدّ أن تتطرق إلى ما سبق من موجز عن تاريخ اللغة الكنعانية، كما لابدّ من الإشارة إلى أن كنعانية

---

[103])– عن تلك الإشارات انظر كلاً من:
Garbini.Giovani:the Question of the Alphabet, "the Phoenicians" ed.S.Moscati. Milan, Bompiani 1988,p.88.
وحتي فيليب، مرجع سبق ذكره ص 121

[104])– فرزات محمد حرب: تاريخ سورية القديم ط5 دمشق 1993 ص 101–102، هبو أحمد: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ط1 اللاذقية 1984 ص 76.

[105])– عن كتابة سيناء ومبدأ الأكروفونيا انظر: بهنسي عفيف: بحث بعنوان "سورية الحضارة ماذا أعطت إلى الغرب"– الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 33، الجزء2، 1983 ص 11–12، فرزات محمد حرب: تاريخ سورية القديم، ص 101–102، هبو: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ص 76، حتي: تاريخ سوريا، ص 118–119، Garbini, op.cit,pp.86-90.

[106])- Burney.Charles: From Village to Empire, London, 1977,p.116

[107])– انظر: بيطار الياس "قواعد اللغة الأوغاريتية"، جامعة دمشق 1992 ص67.

المغرب العربي قد حافظت على أختها كنعانية المشرق العربي من عوامل الفناء التي شرعت تؤثر عليها بدءاً من المرحلة الهلنستية.

وفي هذا الإطار تعدُّ شهادة القدّيس **أوغستينوس** –أسقف مدينة عنابة الجزائرية (354–430م)– شهادة مهمة جداً من القرن الخامس الميلادي إذ قال –في خضمّ حديثه عن قرطاجة–: "إذا سألت سكان بلد في إفريقيا من أنتم؟ يجيبون بالكنعانية إننا بنو كنعان!"[108]...

ومن أدلّة أوغستينوس على ثبات الكنعانية واستمرارها في الربوع المغاربية، ذكره لمهنة "المترجم بهذه اللغة"، ورسالة منه إلى البابا "سليستن" يرشّح فيها رجلاً يتقن هذه اللغة لشغل منصب أسقف مدينة "فسالة"، حيث الكنعانية لغة الناس فيها آنذاك ...وفي مثال آخر يذكر أوغستينوس أن أحد الأساقفة من زملائه سمع كلمة "سلوس" من أحد الريفيين، وهي تعني بالكنعانية المغربية "ثلاثة" مما يدل على تداول هذه اللغة[109]، ممّا يشير إلى الكنعانية الأم، فكلمة "شلوش" بالكنعانية المشرقية تعني ثلاثة أيضاً مع اختلاف بسيط في اللفظ، وهذا الاختلاف مألوفٌ في عاميّاتنا العربيات، وعلى سبيل المثال فكلمة "جوز" يلفظها بعض سكان ريف دمشق على شكل "زوز" تماماً كما يلفظها التونسيون اليوم...

وأخيراً ففي القرن السادس الميلادي يثبت المؤرخ البيزنطي "بروكوب" في كتابه "حرب الوندال" أن الأفارقة يتكلمون بلسانٍ كنعاني[110].

---

[108])– Harden. op.cit.p.20.

[109])– عن استمرار "البونية" في الربوع الافريقية انظر فنطر محمد: بحث بعنوان "في ثبات الحضارة البونية" – مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية1– المعهد الوطني للتراث–تونس1985...ص 62–64.

[110])– "بوني" حسب فنطر: "في ثبات الحضارة البونية" ، ص64.

وممّا سبق كلّه نستنتج أن العربية القديمة بلهجتها الكنعانية كانت لغة جزء كبير من المغرب العربي حتى وقت قريب من الفتح العربي، الأمر الذي أتاح للعربية الفصحى الانتشار بسهولة في تلك الربوع.

3-كركوان:

تقع مدينة كركوان الأثرية -التي انطلقت أولى الحفريات فيها عام 1953-على بعد 12 كم شمال مدينة قليبية الساحلية التونسية، ويعود تأسيسها إلى القرن السادس ق.م، وقد كانت هذه المدينة على اتصال مباشر مع أخواتها الكنعانيات في المشرق العربي، ولعل من أهم مكتشفاتها - كحاضرة كنعانية على الساحل التونسي- غرفة جنائزية ضمن أحد مدافن المدينة عُثر فيها على رسوم تصويرية تتحدث عن مصير الإنسان بعد الموت وشؤون الآخرة، الأمر الذي دعا الباحثين إلى وصف هذه الرسوم بأنها تمثّل "مدينة الأرواح"[111]، ولعل رُقُم مدينة أوغاريت قد أتت على ذكر ذلك قبل ألف سنة من تأسيس كركوان[112]...وقد كشفت حفريات عام 1966 في المدينة عن قالبٍ صلبٍ من حجر "الأردواز" (السجّيل) -محفوظٍ في متحف الموقع- يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث ق.م، يستعمل لصب المعادن ويحمل شكل مستطيلين غائرين نُقش عليهما شكل غصن[الشكل18].. وهذا النوع من القوالب سجّل حضوره بكثرة في مصر وفلسطين[113]، مما يؤكد أن البحر المتوسط كان بحيرة كنعانية بجدارة، أمّا سفن

---

[111])- فنظر: الحرف والصورة في عالم قرطاج، ص 248 -250.

[112])-انظر شيفمان إ.ش: ثقافة أوغاريت، ترجمة حسان إسحق، دمشق 1988، ص98.

113)- انظر نشرة المعهد الوطني للتراث في تونس على الرابط:
http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=119%3Akerkoaun- ar&catid=1%3Asites&Itemid=6&lang=ar

الكنعانيين فكانت ناقلةً للتأثيرات أكثر من البضائع، وهي تأثيرات استمرت طويلاً، بل إنها مهّدت فيما بعد للفتوحات العربية.

4–نماذج من الحضور الكنعاني في الساحل الأطلسي المغربي:

استناداً إلى المصادر التاريخية، فقد كانت "ليكش" (ليكسوس) –"لكس" بالكنعانية المغربية"– مركزيةً بالنسبة إلى تجارة الكنعانيين المبكرة في ساحل المغرب العربي على "الأطلسي"، وتشير المصادر الكلاسيكية إلى أهمية تلك السوق التي أُسست عام 1180ق.م، أي قبل "قادس"، وقد تم التعرّف على موقع "ليكش" في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وهي تقع على بعد 4كم –إلى الداخل– شمالي ضفة نهر "لوكوس"[الخريطة رقم5]...وهذا الموقع الذي كُشِفَ عنه في الهضبة العليا لتل "تخيميخ" قدّم شواهد معمارية على حضور كنعاني مبكر، وقد تبيّن أن أقدم معابد "ليكش" (Apsis,H,) يعود إلى القرن الأول ق.م –وهي مرحلة الملك النوميدي "جوبا الثاني"، وقد اتّضع الميناء أسفل الطرف الشرقي لتل "تخيميخ"[114].

ويرى باحثون أن تأريخ هذه المعمرة في أواخر القرن السابع ق.م ممكنٌ استناداً إلى لقى متفرقة من أوانٍ فخارية كنعانية ذات طلاء أحمر –تميّز القرن المذكور– عُثر عليها في أعلى الهضبة.

وقد كانت "ليكش" نقطة عبور إلى الأراضي الغنية بالمعادن، حيث عتبات جبال الأطلسي الغنية بمصادر الذهب والنحاس والحديد والرصاص، وخلف "ليكش" –على طول ساحل مليء بالموانئ الطبيعية–فإن آثار التجارة الساحلية الكنعانية متناثرة في كل مكان، ولعل أوضح الشواهد على الحضور الكنعاني عُثر عليه في "سالا"، وهي سوق انتصبت داخل البلاد عند مصب نهر "بورقراق" بالقرب من قلب العاصمة "الرباط"، وفي

---

(114)– Markoe,op.cit.p.187, 188.

هذا الموقع عُثر على بقايا بناء من الحجر المنحوت، فضلاً عن إلى فخار كنعاني ذي طلاء أحمر يعود إلى المرحلة ما بين القرنين السابع والسادس ق.م.

وعلى بعد نحو 400كم خلف "سالا" –وإلى أقصى الجنوب"– كان ثمة منشآت كنعانية على طول الساحل المغربي...وفي جزيرة "موغادور" بخليج "السويرة" كشفت التنقيبات عن مخيّم ساحلي موسمي قطره خمسون متراً تقريباً دلّت عليه بيوت وأكواخ صغيرة.

إن الطبيعة التجارية لموغادور ظهرت من خلال اللقى الفخارية التي تضمنت كمية كبيرة من كسرات الأواني ذات الطلاء الأحمر، وقد كانت عشرون منها مسطورة بكتابات كنعانية، وإلى جانب هذه الكسرات عُثر على جرار فخارية إغريقية فضلاً عن فخار قبرصي.

إن "موغادور" التي سجلت نشاطاً من عام 650 إلى عام 500ق.م مثل "سالا" في الشمال، قامت بدور ثانوي كمركز للتجارة مع السكان الأصليين داخل المغرب...واستناداً إلى نقوش "موغادور" الكنعانية وأنماط الفخار، تبيّن أنها أُسست من قبل كنعانيي المشرق العربي، أو من قبل كنعانيي "جديرة" التي أسسها الصوريون، أمّا فخار "موغادور" فمطابق بشكل خاص لفخار المعمرات الكنعانية الأندلسية[115].

رابعاً: نماذج من الحضارة الكنعانية المغربية في جزر المتوسط وفي غربه:

1–صقلية:

في بادئ الأمر تمركز الكنعانيون القادمون من المشرق العربي حول جزيرة صقلية، واتخذوا الرؤوس البحرية والجزر الصغيرة على بُعد من الشواطئ كمحطات تجارية صغيرة للاتجار مع السكان الأصليين، ولكن مع وصول المستعمرين الإغريق،

---

[115]– Ibid, p.188.

تخلّى الكنعانيون عن معظم تلك المواقع وركّزوا اهتمامهم على "مطوة" و"صولُنتو" و"بانورموس" (بالرمو الحالية) في الشمال الغربي [الخريطة رقم6].

وقد كشفت التنقيبات التي أُجريت في "مطوة" عن شواهد مبكرة للحضور الكنعاني عام 720 ق.م، وقد كان انسحاب الكنعانيين إلى الزاوية الشمالية الغربية من صقلية خطوة مدروسة لإحكام السيطرة على المصالح التجارية الأكثر أهمية في الجزيرة، ويضاف إلى ذلك أن المنطقة كانت نقطة عبور إلى قرطاجة وسائر المغرب العربي، فمن "مطوة" إلى ساحل "الوطن القبلي" في تونس مسافة 160كم، وكذلك فإن الشمال الغربي من صقلية كان نقطة انطلاق إلى جنوب "سردينيا" الغني بالمعادن، وأيضاً من أجل التجارة شمالاً مع "كامبانيا" و"إترووريا".

وقبل ذلك كان للكنعانيين حضور على الساحل الشرقي من صقلية تجسّد في مقرات تجارية قد تعود إلى القرن الحادي عشر ق.م، أمّا أهم الشواهد الأثرية الكنعانية في صقلية فهي المدافن الأولى في "مطوة" التي تعود إلى القرن الثامن ق.م[116].

2–سردينيا:

يرجع اتصال الكنعانيين بسردينيا إلى المدة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والتاسع ق.م، إذ كانت بمنزلة "المغنطيس" بالنسبة إلى التجارة الكنعانية بسبب غناها بالنحاس والحديد والفضة الحاملة لفلزّات الرصاص... ولعل الشاهد الأثري الأبكر على حضور الكنعانيين في سردينيا هو النُصب المسطور بالكنعانية الذي عُثر عليه قبل مئتيْ عام في الجزء الجنوبي من مدينة "نورا"[الخريطة رقم7]، وقد أُقيم هذا النصب –المؤرَّخ في مطلع القرن الثامن ق.م– إحياءً لذكرى إنشاء معبد للإله الكنعاني "بومي" Pumai

(116)– Ibid, p.175.

ذي الارتباط الوثيق بقبرص، ولاسيّما وأن تأريخ النصب يتزامن مع تأسيس الكنعانيين لقرطاجة و"قتيون" في قبرص[117]... [الشكل16].

3-مالطة:

ترجع أهمية مالطة بالنسبة إلى الكنعانيين إلى موقعها الجغرافي الوسط بين طريقين كنعانيتين تجاريتين رئيستين، واحدة إلى الشمال -على طول الساحل الجنوبي لصقلية- والثانية إلى الجنوب، على طول مساحة المغرب العربي [الخريطة رقم6]، وكانت مالطة-بموانئها الطبيعية الكثيرة- موئلاً آمناً للكنعانيين في رحلاتهم التجارية إلى الغرب...فموقعها إلى الغرب من جزيرة "كريت" وإلى الجنوب من صقلية -على الطريق البحرية المفتوحة إلى الساحل التونسي- جعلها محطة تَزَوُّد وخدمات للسفن التجارية الكنعانية المبحرة باتجاه الغرب عبر المتوسط، وقد تصاعد دور مالطة بالنسبة إلى الكنعانيين في القرن السابع ق.م نتيجة خسارتهم لشرقي صقلية الذي سيطر عليه المستوطنون الإغريق، وتشير المكتشفات من القبور والنقوش إلى أن حضور الكنعانيين في مالطة بدأ في القرن الثامن ق.م، وقد عُثر على مقابر كنعانية في الجزيرتين الرئيستين لأرخبيل مالطة -أي "مالطة" و"جوزو"- وفيها كان الكنعانيون قد سكنوا منطقة "فيكتوريا" الداخلية المرتفعة والميناء الساحلي الجنوبي في خليج "مْجَر"، أما في "مالطة"

---

[117])- Markoe,pp.177-178. -لكن الباحث د.قبيسي يفسّر نقش "نورا" تفسيراً آخر على الشكل الآتي:

النص: بيت راس، سنجير رأسها بسردينا، سلامها سلام صور أم مملكة نورا، ننسب ونجير لفمي.

التفسير: (العاصمة) بيت راس، سنجير رأسها بـ (جزيرة) سردينيا، سلامها سلام (مدينة) صور، (حيث صور) هي أم مملكة نورا، ننسب (من النسب) ونجير (من الإجارة)، لفمي. [حيث كلمة (لفمي) تفيد التوكيد]...انظر قبيسي: الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية، ص 73...[نظر الشكل16]

–الجزيرة الرئيسية– فقد تمركز الكنعانيون في منطقتين هما الهضبة المركزية إلى الشمال، وفي الجنوب الشرقي حول خليج "مرسى شلوق"، وقد شكلت المدينةُ الواقعة داخل "ربة مْدينة" النواة المعمارية الرئيسية، وذلك استناداً إلى حجم المقبرة الموجودة حولها.

ونظراً إلى موانئها الطبيعية فقد كانت المنطقة المحيطة بـ"مرسى شلوق" مركزاً للتجارة، ودلّ على ذلك وجود معبدين كنعانيين مخصصيْن لـ"ملقرت" و"عشترت".

قدّم معبد "عشترت" في مالطة شواهد ممتازة على العبادة الكنعانية، وعثر فيه على مئات الأطباق الفخارية تحمل إشارات إلى الإلهتين "تانيت" و"عشترت"...وكنتيجة لموقع مالطة المفتوح على البحر، فقد جاءت طقوس العبادة الكنعانية هناك حاملةً لخصوصيتها الطبيعية أكثر من بعض المعمرات الأخرى في الغرب[118].

4– إسبانيا:

أ– دور كنعانيي صور ويافا، وتأسيس قادس:

يُعَدُّ شبه الجزيرة الإيبيرية محطة غربيةً للتوسع الكنعاني في المتوسط [الخريطة رقم4]، وكان لاتصال الكنعانيين المبكّر بجنوب إسبانيا صدىً في مؤلفات المؤرخين الكلاسيكيين الذين تحدثوا عن مساعي صور في تأسيس قادس (جديرة الكنعانية) خلف مضيق جبل طارق، وكان توافر خامات المعادن الثمينة دافعاً للنشاط الكنعاني في المنطقة[119]، وبالفعل فشبه الجزيرة الإسبانية واحد من أغنى المصادر بالثروات المعدنية كالذهب والفضة والحديد والنحاس والقصدير.

وقد ناقش العديد من الباحثين الحضور الكنعاني في إسبانيا والاتصال المبكر للكنعانيين بشبه الجزيرة الإيبيرية، وتركزت النقاشات على العلاقة بين "ترشيش" الواردة

---

(118)- Markoe.op.cit,p.180.

(119)- Ibid.p.182.

في كتاب العهد القديم و"ترتيسوس" التاريخية، حيث ذكر سِفر "يونان" روايةً –غير مُثبَتة أثرياً أو كتابياً– تتعلق بالنبي "يونس" وكيف أنه حين قرر الهروب إلى "ترشيش" نزل إلى مدينة "يافا" ووجد سفينة ذاهبة إلى "ترشيش"، فدفع الأجرة وركب فيها[120]... وفي ذلك إشارة إلى أهمية يافا ودورها كمرفأٍ كنعانيٍّ رئيسيٍّ أكثر من كونه رواية صحيحة أو غير صحيحة تتعلق بالنبي يونس...ويدعونا هذا إلى تسليط الضوء على دور مدينة "يافا" الكنعانية وأهميته في تاريخ التوسع الكنعاني غرباً عبر البحار، فهي –إلى جانب صور وأرواد– مرفأ ومنطلق رئيسي لسفن الكنعانيين نحو غرب المتوسط، ويُعَدُّ ميناؤها أحد أهم الموانئ في العالم وأقدمها، إذ يعود إلى 4000 سنة خلت، ورغم ما واجهته المدينة عبر تاريخها من غزوات واحتلالات، إلا أن الميناء الذي كان مرفأ مدينة القدس منذ المرحلة الكنعانية القديمة، واستمر مزدهراً إلى الحرب العالمية الثانية مروراً بالمرحلة العربية الإسلامية، بقي صامداً حتى منتصف ستّينيات القرن الماضي، حيث عبثت به يد الاحتلال الإسرائيلي الذي عمل على طمس المعالم الكنعانية لمعظم آثار فلسطين.

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن مدينة يافا ارتبطت بعلاقة مهمة مع مدينة القدس لأنّها مرفأ هذه المدينة على البحر المتوسط وبوابتها على العالم وصلة الوصل الاقتصادية بينها وبين أهم المدن الكنعانية مثل مدينة صور على الساحل اللبناني، ومدينة "ترتيسوس" جنوبي إسبانيا، وقد كانت يافا منطلقاً لسفن كنعانية تبحر باتجاه "ترتيسوس" التي كانت الطريق إليها تمر بقبرص وسردينيا وقرطاجة وغيرها وصولاً إلى "جديرة" على الساحل الأطلسي لإسبانيا[121]، تلك المدينة التي أسسها الكنعانيون عام 1104 ق.م كما سبق الذكر. فقد ارتبط الحضور الكنعاني في إسبانيا بحركة الاستكشاف التجاري، إذ اهتم الكنعانيون بتجارة القصدير الأطلسية التي كانت بادئ ذي

---

[120])– يونان1:3.

[121])– عن هذا الموضوع انظر فنطر: الفينيقيون بُناة المتوسط، ص87، و:
Markoe,op.cit.p.183.

بدء تحت تحكُّم إيبيري في القرن التاسع ق.م، إلا أن تأسيس "قادس" (جديرة أو جدرة بالكنعانية وتعني الجدار أو القلعة المحصنة)عام 1104 ق.م قد يعكس اتصالاً تجارياً مبكراً.

أُسِّسَتْ قادس على سلسلة من الجزر المتجاورة في خليج قادس خلف جبل طارق، وقد بيّنت الأدلّة الجيولوجية والأثرية في أواخر تسعينيات القرن الماضي أن المعمرة الكنعانية المبكرة رُكِّزت على الجزيرة الشمالية الصغيرة "إرِثيا" التي كانت منفصلة عن الجزيرة الجنوبية الكبرى "كوتينوسّا" بواسطة قناة ضيقة وعميقة هي "بِهْيا كاليتا" التي كانت ميناء قادس الأصلي[122].

ومع السنين سُدَّت هذه القناة بواسطة الطمي الآتي من مصب نهر "جواليت" الذي ردم أيضاً الخليج المجاور، ممّا جعل أرخبيل قادس شبه جزيرة...وقد أُقيم في معمرة قادس القديمة ثلاثة معابد للآلهة الكنعانيين "عشترت" و"بعل حمون" و"ملقرت" توزعت على الجزيرتين المكونتين للمدينة، فكان معبد "عشترت" في القسم الغربي من "إرِثيا"، أما معبدا "بعل حمون" و" ملقرت" فقد أُقيما في الأطراف الشمالية الغربية والجنوبية الغربية من "كوتينوسّا"...وقد كُشِفَ عام 1984م عن مجموعة من التماثيل البرونزية القديمة التي تمثّل آلهةً ذكوراً في جزيرة القدّيس "بتري" الصغيرة الحالية، التي أُقيم فيها سابقاً معبد "ملقرت"[123].

إن تأسيس قادس في "إرِثيا" قبالة ضفة نهر "جواليت" كان خطوة مدروسة من قبل الكنعانيين، فهذا النهر له اتصال مباشر بوادي "غاد الكفير" (الوادي الكبير) المجاور وهو نقطة عبور للثروة المعدنية الآتية من الأندلس السفلى.[124]

---

(122)- Markoe,op.cit.p.183.

(123)- Ibid

(124)- Ibid

وفي وقت مبكر أسست قادسُ مقاطعةً في الضفة الشمالية لمصب نهر "جودااليت"؛ وذلك في المعمرة الترتيسية (نسبة لترتيسوس)، التي قامت بدور ميناء دولي للجزيرة ومحطة عبور لتجارة البلاد، وقد كشفت التنقيبات هناك عن آثار ضخمة للحضور الكنعاني، وكان اشتغال الصوريين بتجارة الفضة الترتيسية قد ترك صدىً واسعاً في المؤلفات الكلاسيكية، وتم تأكيده بواسطة البحوث الأثرية...ومن جهة أخرى فقد وُجدت مناجم الذهب والفضة الحاملة لفلزّ "البيريت" الأصفر في جبال "هلفا" في منطقة "ريو تِنتو"، تلك المنطقة التي شهدت قديماً أضخم عمليات التعدين[125].

إن اهتمام الكنعانيين بعمليات التعدين المذكورة مثبت بواسطة التنقيبات التي جرت في موقع "سيرّو سالومون"، وهو موقع معمرة صغيرة دلَّ عليه الفخار الكنعاني الآتي من المشرق العربي، وهذه التنقيبات التي جرت في الموقع عام 1966-1967 كشفت عن آثار أشغال معدنية تضمنت أدوات تعدين مختلفة منها كير الحدّاد والبوتقة...وقد عُثر على قطيرات رصاص في المنازل، الأمر الذي يشير إلى أنه -في البداية- تُسْتخرجُ كمية من الفضة بواسطة التمحيص الحراري وباستخدام الرصاص المستخرج محلياً[126].

وقد دلّت على الحضور التجاري الكنعاني في "ولبة" دفائن مقبرة "لاجويا" -مقبرة الأرستقراطيين في "ولبة"- إذْ حملت تلك الدفائن الأسلوب الكنعاني.

ب-الحضور الكنعاني في الساحل الأطلسي والساحل الأندلسي شرقي جبل طارق:

خلف "ولبة"، هناك شواهد على حضور كنعاني على طول الساحل الأطلسي إذ كشفت التنقيبات عن وجود حقيقي لمعمرة تعود إلى القرن السابع ق.م في منطقة "ألكَسِردوسال" بالقرب من نهر "سادو"، وإن وجود هذا الموقع على بعد نحو 400كم شمال

(125- Markoe, op.cit.p.184.

(126 – Ibid, p.184.

الوادي الكبير يعزّز الاعتقاد بأن الكنعانيين كانوا قد أسسوا سلسلة من المراكز التجارية الساحلية بالقرب من ساحل البرتغال ووراءه.

وكان الكنعانيون قد ركزوا جهودهم لوجودهم على طول الساحل الأندلسي شرقي جبل طارق ابتداءً من القرن الثامن ق.م[127]، وقد أثبتت التنقيبات الأثرية وجود سلسلة من المواقع مكونة من معمرات متناثرة وبمقبرة شعبية على طول سواحل "غرانادا" و"مالقة" و"ألميريا"، وكلها مواقع استراتيجية على مصبّات الأنهار مثل " وادي الهورس" و"وادي لِمْدينة" و"فِلِز" و"الجاربو"، وهي مصبات تُعَدُّ معابر إلى المنطقة الغنية بالزراعة في الداخل.

وخلافاً لمواقع سوريا الساحلية، فإن مواقع السهل الساحلي لشرق الأندلس كانت في غالبيتها صغيرة، وقد تركزت عمارتها في صميمها فقط، وغالبية هذه المواقع –بما فيها "مورّو دو ميزقيتيلّا" و"خورّيراس" و"أدرا"– راوحت مساحتها بين 2–5 هكتار، وبتعداد سكان قليل، فعدد سكان "توسكانوس" –مثلاً– لم يتجاوز 1500 نسمة[128]، ممّا يشير إلى أنها مواقع مخصصة لفعاليات ونشاطات اقتصادية حيث أُنشئت "توسكانوس" في شبه جزيرة ضمن خليج ساحلي صغير بين عاميْ 750–650ق.م (هذا الخليج مردوم حالياً)، وفضلاً عن تربية المواشي، فإن النشاطات الاقتصادية لتوسكانوس – وحسب المكتشفات الأثرية– تلخّصت في تصنيع الصباغ الأرجواني (الحرفة الكنعانية الأصل) وصناعة المعادن (استخلاصها) كالنحاس والحديد.

وقد أتت المعمرة الكنعانية في "توسكانوس" على نهايتها قبل منتصف القرن السادس ق.م والأسباب مازالت مجهولة، لكن بعض الباحثين يعزون توقف النشاط التجاري في الأندلس –بما في ذلك عمليات التعدين في منطقة جبال "ولبة"– إلى

---

(127)- Ibid.

(128)- Ibid,p.185.

الأزمات السياسية والاقتصادية التي حدثت في المشرق الكنعاني في مطلع القرن السادس ق.م.

وهكذا فعلى امتداد مئتيْ عام ترك الحضور الكنعاني في جنوب إسبانيا بصمات ثقافية واضحة في المجتمع الإيبيري الأصلي الذي دخل مرحلة "التمشرق" في أواخر القرن الثامن والقرن السابع ق.م، ظهرت تأثيراتها خاصةً في منطقة "ولبة" و"الوادي الكبير" من خلال استخدام الحجر المنحوت للبناء وأبنية الطين المفخور وتقنية دولاب الخزّاف لصناعة الخزف، ثم الممارسات الجنائزية كاتباع الأسلوب الكنعاني في الإقبار وتصميم القبور...وكانت الكتابة أيضاً من المؤثرات الكنعانية في إسبانيا، إذ إنّ إدخال النظام الأبجدي على الكتابة الأصلية لجنوب غرب إيبيريا، كان نتيجة مباشرة للتأثير الكنعاني.

ومن الجدير ذكره أنه بالإمكان الاطلاع على التأثيرات الثقافية الكنعانية من خلال المقابر الترتيسية الأرستقراطية في كل من "ولبة" و"سيتيفيلّا" اللتين أفادتا من تجارة الفضة الكنعانية، فكثير من الأدوات الثمينة كالذهب والفضة التي رافقت الدفائن، تأثرت بعمق بتقنية الأنماط المشرقية وتزييناتها، وبقية هذه الأدوات كانت مستوردة من أماكن صناعتها الكنعانية مثل "جديرة"، وربما كانت هذه الأدوات تُوزَّع كهدايا "دبلوماسية" لضمان الأمن في الطرق المؤدية إلى الأراضي الأندلسية الغنية بالمعادن[129].

ج-البليار وإبيزة، ملامح كنعانية:

تُعَدُّ جزيرة "إبيزة" -أو إبيسة- في أرخبيل البليار إحدى معمرات غربي المتوسط التي كانت موضع اهتمام الكنعانيين [الخريطتان 4، 5]، وهي "يبسم" باللهجة الكنعانية المغربية أي "جزيرة شجرة البلسم"[130]، شكّلت ميناءً طبيعياً جعل الكنعانيين يترددون على

(129- Markoe,op.cit.p.186.

(130- Ibid.

المتوسط من مضيق جبل طارق وإليه، وقد أثبتت التنقيبات أن الجزيرة سُكِنت من قبل كنعانيين من مضيق الأطلسي، وأن هنالك دوراً لقرطاجة في تأسيسها استناداً إلى المؤرخ اليوناني "ديودوروس الصقلّي" (80–20ق.م)[131].

وفي منتصف القرن السابع ق.م، أُسِّسَ أول موطئ قدم في شبه جزيرة "ساكاليتا" من أجل التجارة شرقاً مع "سردينيا"، وغرباً مع الساحل الإيبيري، وقد أمّنت بذلك نفوذاً لقرطاجة في البليار[132].

وبعد مرور خمسين عاماً على السكن في "ساكاليتا" هُجِرت ونُقِل سكانها إلى "بيغ دو فيلا" المطلّة على خليج "إبيزة" الكبير على مقربة من الشرق، وفي مرافق ميناء "بيغ دو فيلا" عُثر على قطع فخارية كنعانية تعود إلى أواخر القرن السابع ق.م.

وقد جرت عام 1980 تنقيبات استنقاذ في منحدرات التل المجاور لـ"بيغ دو مولين" –الموقع الحديث لمقبرة إبيزة الوسيعة– وكشفت هذه التنقيبات عن بقايا فضاء للدفن دلّت عليه مجموعة كبيرة من بقايا جثث محروقة وُضعت في حفر أو فجوات طبيعية من المنحدر الصخري، أي أنها دُفنت بأسلوب "الإقبار ترميداً" المعروف في العالم الكنعاني الكبير[133].

إن الأهمية الاستراتيجية لإبيزة فيما يخص التجارة الكنعانية ظهرت من خلال اللقى الفخارية الكنعانية على طول الساحل الشمالي الشرقي لإسبانيا في إقليم "القنطا" وفي "كاستيلّون"، وشمالاً في دلتا نهر "إبرو" جنوبي "كاتالونيا"...وهذه اللقى الفخارية المؤرخة في نهاية القرن السابع وبداية السادس ق.م تبيّن أن "إبيزة" كانت بمنزلة قناةٍ أو مَجَرٍّ لتجارة الكنعانيين الغربية مع شمال إسبانيا وجنوب فرنسا، وهما مصرفان مهمّان

---

(131)- Harden: op.cit.p.58.
(132)- Ibid ,p.58.
(133)- Markoe,op.cit.p.187.

للقصدير الآتي برّاً من مناطق الأطلسي الشمالية مثل "كورن وول" و"بريطانيا". وهذه التجارة المربحة داخل البلاد، التي أُضيفت إلى طريق نقل البضائع الساحلي الأطلسي من "غاليشا" وشمال الأطلسي، نفعت الكنعانيين حتى منتصف القرن السادس ق.م، حيث فرض "الاغريق الفوقيون" في هذا التاريخ سيطرتهم على مثل هذه الطرق من خلال قواعدهم الاستعمارية المقامة في "ماساليا" (مرسيليا) و"إمبوريون" (أمبُرياس)[134].

لا غرابة أن تحمل التركة الأثرية في صور وصيدا وجبيل، ومجدّو والقدس وعكا وحاصور ويافا، وقبرص، ثم أوتيكا وقرطاجة وسوسة وكركوان وجديرة، ثم إبيزة في إسبانيا[135]، ملامح كنعانية أوغاريتية ولو بعد نهاية مدينة أوغاريت الكنعانية السورية بقرون... ولعل أهم ما يمكن الحديث عنه في هذا الإطار الجُعَل الأثري المكتشف في جزيرة إبيزة الاسبانية، وهو من يُشْبٍ أخضرَ ويعود إلى القرن الخامس ق.م، تصوّر زخرفته إلهاً برأس ثور يتهيأ لتسديد ضربة إلى عدو طريح على الأرض [الشكل17]، وقد بيّنت التحاليل أن الإله المنتصر إنّما هو بعل الكنعاني الأوغاريتي ، والإله المهزوم هو يم إله القوة المائية العاتية في أوغاريت[136]، وهذا المشهد هو تصوير لأسطورة أوغاريتية تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م تتحدث عن الصراع بين الإلهين المذكورين وتفوّقِ

---

[134]) -Ibid.

[135]) – عن هذا الموضوع انظر: Markoe, op.cit.p.187.
وأيضاً: فنطر: الحرف والصورة في عالم قرطاج، ص 11–21.

[136]) – وهذا الجعل مسجل في سجل متحف جزيرة إبيزة برقم3650 وكان في قبر من قبور مدفن بويج ديس مولنس" ويحمل رقم13، كُشِفَ عنه سنة1921، انظر فنطر: الحرف والصورة في عالم قرطاج، ص240، وأيضاً: Culican.W:"Baal on a Ibiza Gem",in:Rivista di Studi Fenici, vol, 4,N.1 Roma,1976 pp57-68.

بعل في هذا الصراع...إنّها اكتشافات تستحق الدراسة والبحث لأنها شواهد على الإشعاع الحضاري الكنعاني انطلاقاً من موطنه الأصلي...

خامساً: الخاتمة:

سعينا في هذا البحث إلى تقديم صورة جديدة للكنعانيين العرب في المشرق والمغرب، ومن ضمنهما المتوسط والأطلسي، وقد اتضحت معالم هذه الصورة أكثر من خلال الحديث عن الحضور الكنعاني في المغرب العربي وغرب المتوسط، والواضح من خلال المعطيات أن شواهد الحضارة الكنعانية في المشرق والمغرب العربيين قد دُمِجَتْ في إطار واحد هو تلك الحضارة الكنعانية التي شغلت سنوات الألف الأولى ق.م في جزء كبير من العالم القديم امتد من سواحل سوريا وتجاوز مضيق جبل طارق، فالبحّارة الكنعانيون والقرطاجيون وصلوا إلى ما وراء "أعمدة هرقل" على طول السواحل الأطلسية لإسبانيا والمغرب العربي، كما أن البحّار القرطاجي "حيملك" اجتاز القناة الانكليزية الواقعة على طول الساحل الجنوبي لبريطانيا[137]، بل إن مدى التوغل الكنعاني داخل الأطلسي وصل إلى جزر "أزوريس" (Azores) االبعيدة، استناداً إلى وجود نقد قرطاجي مؤرخ في سنة 330 ق.م، عُثر عليه في جزيرة تقع في عرض الأطلسي[138].

هذا فضلاً عن دوران الكنعانيين حول أفريقيا في مطلع القرن السادس ق.م وإبحارهم خلف البحر الأحمر، وإبحار القائد القرطاجي "حنون" على طول الساحل الغربي لأفريقيا في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م، إذ وصل إلى "سيراليون" "والكاميرون" و"غابون" في خليج غينيا، ثم أنهى رحلته في "رأس جوبي" في الحدود الجنوبية للمغرب[139]...

---

[137]- Markoe.op.cit.p.13.

[138]- الحلو عبد الله: "الفينيقيون وأميركا"، بيروت 1991، ص14.

[139]- Markoe.op.cit.p.189.

أمّا هذه المنجزات الحضارية ذات الهوية الكنعانية –بجناحيها المشرقي والمغربي– وعلى اختلاف أنواعها، فتُسَجَّلُ لعصر النهضة الكنعاني انطلاقاً من أواخر الألف الثاني ق.م، كما تحمل بصمات عصر البرونز المتأخر الكنعاني، فوثائق أوغاريت والعمارنة[140] في العصر المذكور تشير إلى وجود استمرارية في حقول الاقتصاد والثقافة واللغة والديانة مع عصر الحديد المبكّر الذي شهد الانطلاقة الكنعانية الجديدة نحو المغرب العربي وغرب المتوسط، واللذيْن بدورهما سجّلا تلك الاستمرارية الكنعانية في الحقول الحضارية ذاتها، بما يُقَدِّم المشرق والمغرب العربيان في الألف الأولى ق.م كوحدة تاريخية وحضارية متكاملة، أساسُها "الكنعانية" كجذور حضارية ولغة، أما "الكنعانية" فهي جزءٌ من العروبة القديمة، ومن ثَمَّ فكل ما ينتمي إلى "الكنعانية" هو عربيٌّ بالمفهومين الحضاري واللغوي، وبموجب الأدلّة الأثرية واللغوية كلّها التي شكّلت معطيات هذا البحث.

---

[140])– وثائق العمارنة رُقُمٌ من الطين المفخور، سُطرت بالخط المسماري –باللغة الأكادية– وهي مراسلات بين ملوك المشرق العربي القديم ومصر خلال عهديْ كل من أمنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع (أخناتون) في القرن الرابع عشر ق.م، ويقع تل العمارنة على الضفة الشرقية لنهر النيل –محافظة المنيا...وقد جرى الاكتشاف سنة 188 م، وعُرضت تلك الرسائل التي اكتشف منها نحو 377 رقيماً، في متاحف القاهرة وبرلين ولندن وباريس...وتشف تلك الرسائل عن تنافس بين الممالك الكنعانية...انظر:

-Mercer.S.A.B: The Tell-el-Amarna Tablets, vol1, Toronto 1939

- Moran.W.L: Les Lettres d,ElAmarna, correspondence diplomatique du Proche-Orient. Le Cerf.Paris du Pharaon. Litteratures anciennes 1987.

وأيضاً: عبد الحميد محمود: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق 1996.

مصادر البحث ومراجعه:

أولاً: المراجع العربية والمعرّبة:

1- الأسعد خالد، فيين أوفه ويدبرغ–هانسن: "زنوبيا ملكة تدمر والشرق"، تحقيق: محمد جواد البندر، 2006.

2- الحلو عبد الله: "الفينيقيون وأميركا"، بيروت1991.

3- الصفدي هشام: تاريخ الشرق القديم ج1"الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية"، دمشق 1983–1984.

4- الفرجاوي أحمد: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، تونس .1993

5- المدور مروان :الأرمن عبر التاريخ ،دمشق 1987.

6- أوروسيوس: تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط1، بيروت، 1982.

7- باقر طه: مقدمة في تاريخ الحضارات العربية ج 1، بغداد، 1973.

8- بهنسي عفيف: بحث بعنوان "سورية الحضارة ماذا أعطت إلى الغرب"–الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 33، الجزء2، 1983.

9- بيطار الياس: قواعد اللغة الأوغاريتية، دمشق 1992.

10- دوكريه فرانسواه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ط1، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق 1994.

11- ريمشنايدر.مارغريت: "أورارتو"،مملكة أرمنية قديمة في أحضان آرارات، ترجمة محمد وحيد خياطة، مكتبة سومر، حلب، 1993.

- شيفمان. إ. ش:

12- ثقافة أوغاريت: ترجمة حسان إسحق، دمشق 1988.

13- مجتمع أوغاريت، ترجمة حسان إسحق، دمشق .1988

14- عبد الحميد محمود: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق 1996.

15- عصفور محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية، بيروت 1981.

16- غانم محمد الصغير: التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، الجزائر1979.

17- فرزات محمد حرب: تاريخ سورية القديم ط5 دمشق 1993.

18- فرزات محمد حرب، مرعي عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دمشق 1994.

- فنطر محمد حسين:

19- "تونس أرض الكتابات"، الكتابة في البحر المتوسط، تونس 1988.

20- الفينقيون بناة المتوسط، تونس 1998.

21- الحرف والصورة في عالم قرطاج، تونس، 1999.

- قبيسي محمد بهجت:

22- "الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية من القرن 1 ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي والأباطرة العرب الذين حكموا روما..." ط2 دمشق 2009.

23- "الأكراد والنبي"،ط1، دمشق 2014.

24- كنيون كاثلين: الكتاب المقدّس والمكتشفات الآثارية الحديثة، ترجمة شوقي شعث دمشق،1990.

25- محيسن سلطان: آثار الوطن العربي القديم، دمشق، 1989.

26- مرعي عيد: تاريخ بلاد الرافدين، دمشق، 1991.

27- مرعي عيد، عبد الله فيصل: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين). دمشق، 1996.

28- مرعي عيد: آثار الوطن العربي القديم (الجزيرة العربية وبلاد الرافدين)، جامعة دمشق، 2009.

29- مسكاتي سابتينو: الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، 1988 .

30- موسوعة المدن الفلسطينية (مجموعة من المختصين)، إشراف: حسين العودات، دمشق 1990.

31- هالدار ألفرد: "العموريون"، ترجمة شوقي شعث، دمشق.

32- هبو أحمد: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ط1 اللاذقية 1984.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- CIS1: CORPUS INSCRIPTIONUM SEMITICARUM, PARS PRIMA, Ab Academia Inscriptionum et Litterarum Humaniorum.Condinins.Tomus III, Paris IIS.

2- KAl: H. Donner, and W. Röllig, Kanaanäische and Aramäische inschriften. 3 vols, Wiesbaden - 1966 – 1969.

3- Burney Charles: From village to Empire, London 1977.

4- CINTAS.P:Le Sanctuaire Punique De SOUSSE, Revue Africaine, 1947.

5- Culican.W:Baal on a Ibiza Gem,in:Rivista di Studi Fenici 4 Roma,1976.

6- FANTAR.MHAMED: -Cartage. Tume1,Tunis-1993.
-KERKOUANE 1 Tunis-1987.
-Le Dieu Dagan, extrait des cahiers de Tunisie, ،1973, N81-82. Tome xxl

7- Jenkins.G.K and Lewis.R.B: Carthaginian Gold and Electrum Coins, Royal Nomismatic Society.pub.no.2, London 1963.

8- Herden, Donald; The Phoenicians, London 1971.

9- Luckenbill - Daniel - David: Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol I, II, Chicage, 1926 - 1927 (ARAB).

10- Markoe, Glenn. E: Phoenicians. London 2000.

11 -Mercer.S.A.B: The Tell-el-Amarna Tablets, vol1, Toronto 1939

12- Moran.W.L: Les Lettres d,ElAmarna, correspondence diplomatique du Pharaon.
Litteratures anciennes du Proche-Orient. Le Cerf. Paris.

13- Moscati Sabatino (ed): The phoenicians. Milan Pompiani, 1988 (includes the following research):
- Acquaro.Enrico: Bronzes.
- Acquaro.E: “Coins”.
- Ciasca.Antonia: Phoenicia.
- Fantar.Mhamed: “North Africa”.

- Garbini.Giovani:the Question of the Alphabet.
- Moscati:Stelae.
- Moscati: "Ostrich Eggs".
- Pisano.Giovanna: "Jewellery".
- Ribichini.Sergio:Beliefs and Religious Life.
  Uberti.Maria.Luisa: "Ivory and Bone Carving".
-

14- Walker. C. B. F: Cuneiform, London, 1987.

الخرائط

1–خريطة سوريا وبلاد الرافدين

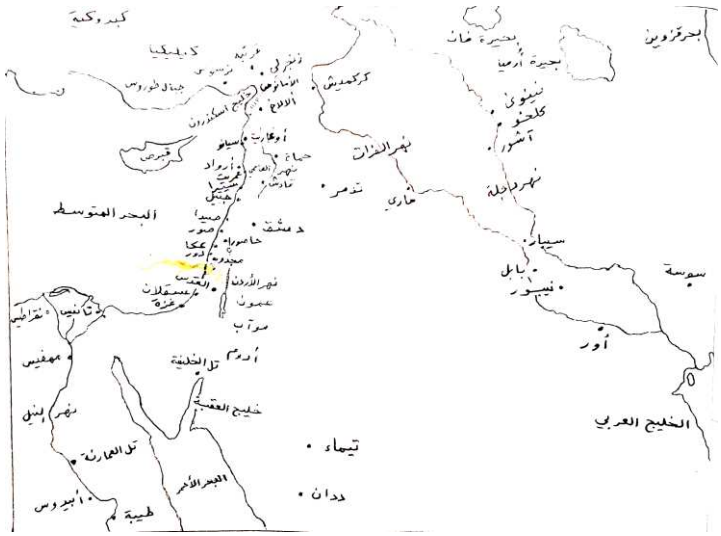

موقع مملكة "عربايا" الآرامية (ملحق بالخريطة1)

(قبيسي محمد بهجت: الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية، دمشق2009)

2- خريطة الساحل الكنعاني الفينيقي

3- خريطة المواقع القديمة في تونس

4- خريطة غرب المتوسط

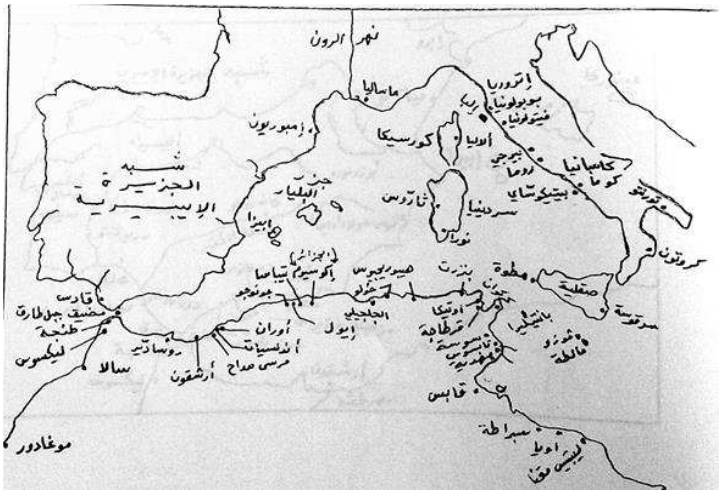

5- خريطة إسبانيا والمغرب الأقصى

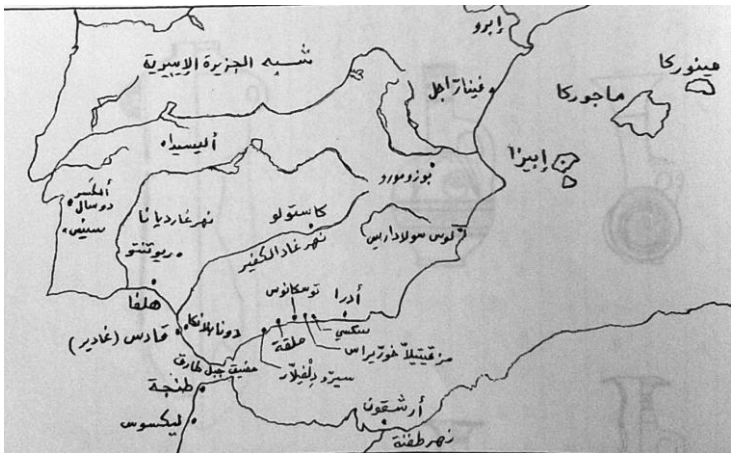

6- خريطة صقلية

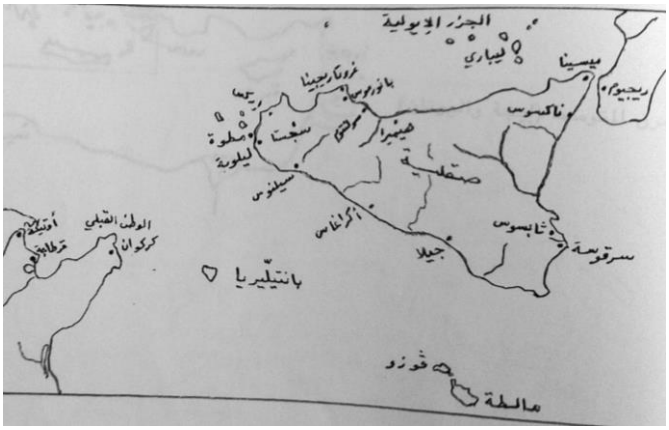

7- خريطة سردينيا

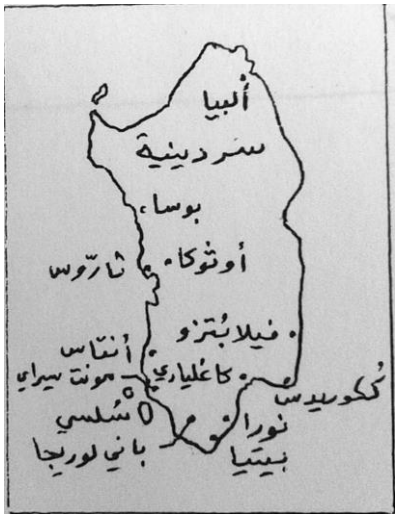

الصور والأشكال

الشكل رقم1(الحي البوني في قرطاجة)

الشكل2

⇕

الشكل3

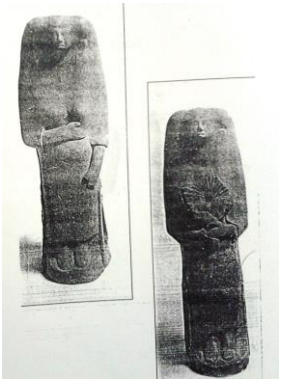

الشكل4

الشكل5

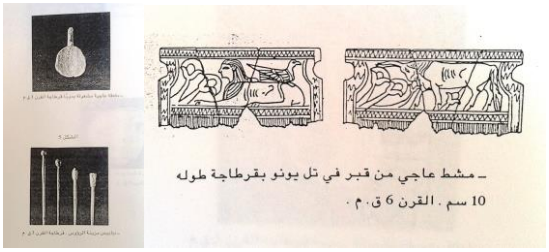

ـ مشط عاجي من قبر في تل يونو بقرطاجة طوله 10 سم . القرن 6 ق.م .

الشكل6

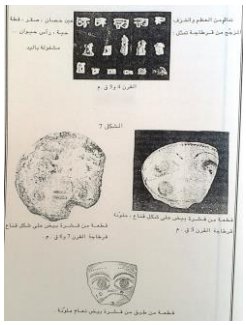

الشكل7

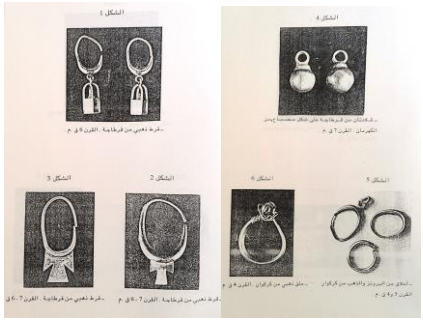

الشكل8

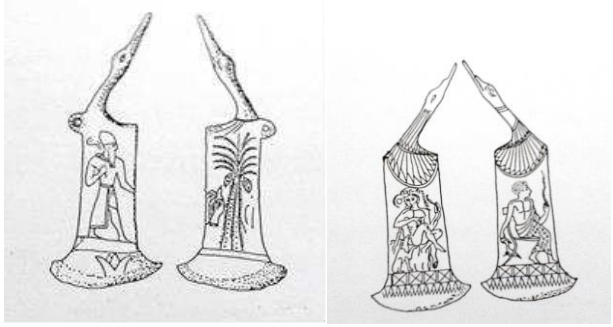

الشكل9

الشكل10

الشكل11

الشكل12

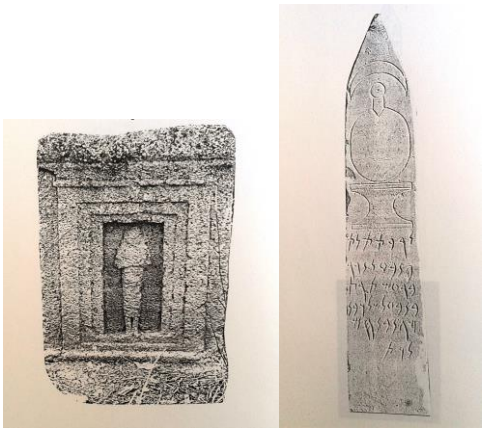

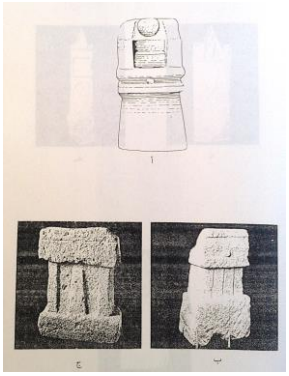

الشكل13

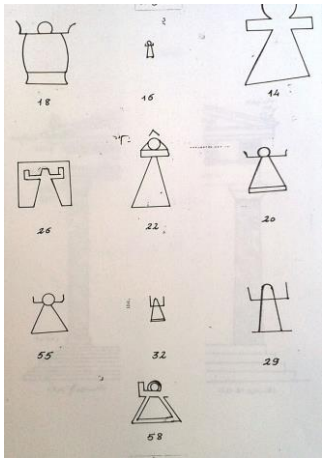

الشكل14

النصب 1
النصب 2
النصب 3
النصب 4
النصب 5
النصب 6
النصب 7
النصب 8
النصب 9
النصب 10
النصب 11
النصب 12
النصب 13
النصب 14
النصب 15
النصب 16
النصب 17
النصب 18
النصب 19
النصب 20

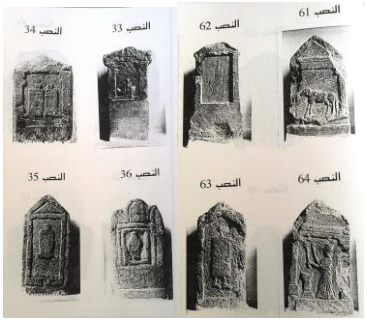
النصب 33
النصب 34
النصب 35
النصب 36
النصب 61
النصب 62
النصب 63
النصب 64

الشكل15

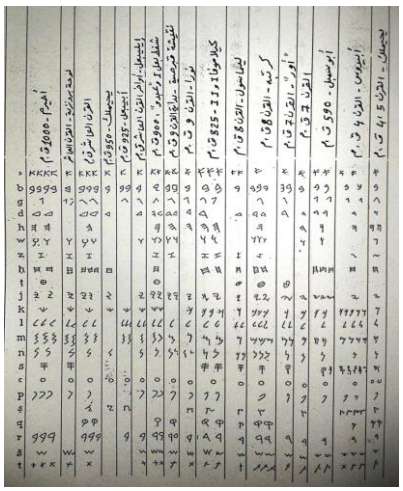

الشكل16

ب ت ر س س	بيت راس (س)
ن چ ر س هـ ا	سنجير رأسها
ب س ر د ن س	بـ سردينا (س)
ل م هـ ا س ل	سلامها سلام
م ص ر ا م	(م) صور أم
ل ك ت ن ر ن	مملكة نورا (ن)
س ب و ن چ ر	تنسب وتنجير
ل ف م ي	لفمي

محمد بهجت قبيسي: الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية

الشكل 17

الشكل18